

أم القرى في مدم خير الوری "القصيدة الهمزية"

لناظمها
الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حماد البوصيري
(607-696هـ)

تحقيق وتعليق
فضيلة العلامة محمد الشاذلي النيفر

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

العلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بإنكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وجاههم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب غرس الإيمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه)، يعد هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بين أن المرء لا يتلذذ بالطاعة ويذل جهده في رضا الله ورسوله إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأمرين الآخرين.

وأشار إلى مدخلية محبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كل منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه)، قال القاضي عياض: "من محبته نصرته سنته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على كل والد وولد،

ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن".
 ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإثارة محبته صلى الله عليه وآله وسلم على كل محبة
 حَبَّرَ الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع
 أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة
 والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا هزيمته بالثناء، فقد
 وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة
 والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الحمزية المشهورة
 العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة
 التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها حتى الإمام البرهان
 القيراطي (781) فإنه مع جلالتة وتضلعه ... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به
 الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب، وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة
 جمعها، وبراعة صنعها...)

انفردت الحمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفراداً ممتازاً فهي تبرز من السيرة النبوية
 وجهاً يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب
 طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في
 قالب بديع من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، مما يجول بالنفس في جو
 يدعو إلى محبته صلى الله عليه وآله وسلم التي هي من كمال الإيمان، بل أساس الإيمان
 كما صرح به الحديثان المتقدمان حباناً الله حبه والعمل الصادق في خدمة نبيه صلى الله
 عليه وآله وسلم.

أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنّهاجي البوصيري المصري شرف الدين ولد سنة 608 هجري.

يعد الإمام البوصيري حسنة من حسنات أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي 686 هجري الواصل إلى الله والموصول إليه.

وممن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنه بعد أن اشتغل بالوظائف سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العباس، والشيخ أبو العباس أخذ عن الولي الشهير أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن الشيخ الولي الصالح عبد السلام بن مشيش وكان الشيخ ابن عطاء الله رفيقا له في السلوك على يد أبي العباس المرسي وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبة النبوية فتمثلت في ذاته تلك المحبة النبوية وأراد تحقيقها في النفوس فنظم قصائد عدة في المدح النبوي وكل قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاص.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العيمة وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء وهي ذات امتياز كما قدمنا وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحيها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيثمي الشهير بابن حجر 974 هجري وهو شرح جليل طرق فيه بحثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمّة.

وقد اعتنى بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلاً. وقد انتفعت بهذه التحريات في تعليقي هذا على الهمزية.

وما ذكرته من أشهر شروحيها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسمّاها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم، ورد عليهم رد دارس للتوراة والإنجيل، مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولا فأي أقل العالمين قبولا
 وعلق عليها ناظمها تعليقا أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذب عن الجانب النبوي الشريف ذب محب صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى، وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع.

وفاته:

ذكر المقريزي أنه توفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، لكن الحافظ ابن حجر صوب أنه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة، رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائق⁽¹⁾.

(1) انظر فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (ج3ص362) والوای بالوفیات للصفدی (ج3ص105).

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير

سيدي محمد الشاذلي النيفر

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث النحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد مصره الشيخ المعمر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي الأشعري الجلد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النفاة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد حفظه الله ورعاه في سنة 1325 هجري الموافق له 1908 رومي كما أقره هو بنفسه وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس. وكانت ولادته في مدينة تونس المحمية حماها الله وحرصها من كل بليّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محط أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سن مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من



أجازته في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة فقرأ عليه عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي ودروس حديثة أخرى وبه تخرج بهذا الفن وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقه والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشري، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تدرس في الجامع المعمور على جلة من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل فدخل بلاد الشام فلسطين لبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس. ثم دخل العراق وبلاد الحجاز، حاجاً ومعتماً عشرات المرات بل له سنة متبعة في ذلك ما تحلف عنها إلا في سنينه الأخيرة وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل باكستان والهند، وبلاد شرق آسيا مثل اندونيسيا ودّرس فيها وبلاد البوسنة والهرسك وذلك رغبة وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفعة.

تدريسه:

دّرس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقه، وخاصة شرح الدردير على سيدي خليل، والتفسير بشرح الجلالين، ودّرس في الصادقية وترشيح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.
- 2- شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.
- 3- قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.
- 4- العلامة الشيخ الخطاب بوشناق.
- 5- العلامة محمد العربي الماجري.
- 6- العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.
- 7- شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

- 1- العالم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس.
- 2- الشيخ محمد الحجوي.
- 3- الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسني.

شيوخه من بلاد الحجاز:

- 1- محدث الحرمين الشريفين المسند العلامة والخبر الفهامة سيدي عمر حمدان المحرسي.
 - 2- الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التآليف العديدة والأقوال السديدة.
 - 3- مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله.
- وغيرهم كثير وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعض منها:

1- رسالة في التجنس.

2- باردو المنتزه مدينة الملك.

3- مناقب محرز بن خلف.

4- رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.

5- رسالة في تحريم الخمر.

وأخرج كثيراً من نفاثات المخطوطات وحققها مثل:

1- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.

2- قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت وعليه فوائد كثيرة من تحقیقاته.

3- أمّ القرى في مدح خير الوري.

4- الشقراطسيّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

5- مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي زاد فيه ترجمة والده.

6- إصابة الغرض وإزالة الشبهة عمن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يستر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس وأهم ما في هذا الديوان النبويات

وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليك رسول الله أرفع حاجتي فهذه الكرب قد أحاطت بساحتي

وإني راج قد وقفت ببابكم وإن رجائي في إزالة كربتي

قاله أثناء مرضه بالتيفويد وهو ابن خمسة عشر سنة فبرء.

وخرج أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه "دراسات" ذكروا فيه كثيراً من مناقب

الشيخ وهو خاص به.

امتاز شيخنا بخلق حضاري رفيع المستوى قل نظيره، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر ويذل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره وانتفع بطول عمره غاية الانتفاع كما جاء في الحديث، فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه أمين.

وفاته:

بعدها تم دراسة وتحقيق الصلاة المشيشة للقطب سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي وذلك على يد مولانا الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بمساعدة الفقير إلى ربه العلامة أحمد بن منصور قرطام دخل الشيخ رحمه الله مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس وذلك إثر نوبة صدرية حادة وادخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وذلك يوم الخميس على الساعة 4.30 صباحاً 4 شعبان 1418 هجري الموافق له 1997/12/4 رومي ووقف على تغسيله العبد الفقير العلامة أحمد بن منصور قرطام بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدين آخرين قاما بمشاركته وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الجلاز حيث مثواه الأخير وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418 هـ الموافق له 1997/12/5 مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور عدد حاشد من الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومثقفين وسفراء كثر من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن واندونيسيا وماليزيا وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الجلاز صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي وأبنته وزير الشؤون الدينية على الشابي وقام بدفنه رحمه الله كل من أبناؤه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير العلامة



أحمد منصور قرطام إلى أن تم مواراته تحت الثرى وتلقينه تعمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين كل خير وبذلك قد فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن والله الأمر من قبل ومن بعد وإنما لله وإنما إليه راجعون.

**نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.**

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

27 رمضان 1428 هجري الموافق له 8 أكتوبر 2007 رومي

سمو المقام النبوي

كَيْفَ تَرَقَى رُؤْيَاكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ⁽²⁾
 لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَا⁽³⁾
 إِمَّامًا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ سِ كَمَا مَثَلِ النَّجُومِ الْمَاءُ⁽⁴⁾
 أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْ لَدْرُ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ⁽⁵⁾
 لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْعِي بٍ وَمِنْهَا لَأَدَمَ الْأَسْمَاءُ⁽⁶⁾

نسبه وميلاده

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونِ تُحْتَا رُ لَكَ الْأُمَمَاتُ وَالْآبَاءُ⁽⁷⁾
 مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ⁽⁸⁾
 تَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ⁽⁹⁾

(2) كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رؤيتك الأنبياء، وبيا سماء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.

(3) أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.

(4) ومعنى هذا البيت أن الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كمثل الماء للنجوم.

(5) ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.

(6) يفيد هذا البيت أن آدم علم الأسماء وأنت علمت الأسماء والمسميات.

(7) فكما طابت ذاته طاب نسبه.

(8) أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(9) تتباهى بك العصور: تفتخر.

- وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ (10)
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحِلَاةٍ
مِنْ كَرِيمٍ أَبَاؤُهُ كُرَمَاءُ (11)
قَلَّدَتْهَا جُومَهَا الْجَوْرَاءُ (12)
أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَمَاءُ (13)
أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ (14)
مِنْ سُرُورٍ بِيَوْمِهِ وَازْدَهَاءُ (15)
وَلَدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ (16)
آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ (17)
كُرْتَةٌ مِنْ مُمُودِهَا وَبَلَاءُ (18)
نَ لِيْبِرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ (19)
رِ وَبَالَ عَلَيَّهِمْ وَوَبَاءُ (20)
لِ الَّذِي شُرِفَتْ بِهِ حَوَّاءُ (21)
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلَا بِحِلَاةٍ
حَبْدًا عِقْدُ سُؤْدِدٍ وَفَخَارٍ
وَمُحْيِيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٍ
لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيِّ
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهُوَاتِفِ أَنْ قَدْ
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا
وَعَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ
وَعُيُونٌ لِلْفَرَسِ عَارَتْ فَهَلْ كَا
مَوْلِدُكَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ
فَهَنِيئًا بِهِ لِأَمْنَةِ الْفَضْلِ

(10) وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.

(11) فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدها الجوزاء حلاها.

(12) معناه: نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.

(13) ومحييا معطوف على عقد، أي حيدا محيا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.

(14) فليلة المولد ليلة شُرِفَتْ بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.

(15) أفاد أنه تتابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(16) ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.

(17) ومن آيات الميلاد حمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.

(18) ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم أن عيون الماء غارت.

(19) ومنها أن هذا المولود دل على وبال الكفر.

(20) ثم هنا أمة بالفضل الذي حصل لها وثبت، وهي أمنة بنت وهب.

- (21) مِنْ حِوَاءَ أَتَّهَّا حَمَلْتُ أَحْمَ مَدَّ أَوْ أَتَّهَّا بِهِ نَفْسَاءُ (21)
- (22) يَوْمَ نَالَتْ يَوْضَعِهِ ابْنَهُ وَهَبٍ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنْلَهُ النَّسَاءُ (22)
- (23) وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ بِمَا حَمَلْتُ قَبْلَ مَرْثِمِ الْعَذْرَاءِ (23)
- (24) شَمَّيْتُهُ الْأَمْلَاكَ إِذْ وَضَعْتُهُ وَشَفَّمْتَنَا بِقَوْلِهَا الشَّفْمَاءُ (24)
- (25) رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْدِ عِ إِلَى كُلِّ سُؤْدَدٍ إِيمَاءُ (25)
- (26) رَامِقاً طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرَمَى عَيْنٍ مَن شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ (26)
- (27) وَتَدَلَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ فَأَضَاءَتْ بِضَوْفِهَا الْأَرْجَاءُ (27)
- (28) وَتَرَاءَتْ قُصُورٌ قَيْصَرَ بِالرُّو م يَرَاهَا مَن دَارَهُ الْبُطْحَاءُ (28)

رضاعه وعجائبه

- وَبَدَّتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ (29)

(21) ثم إن حواء وان اشتركت مع أمية في الشرف فأمية أشرف.

(22) وقد نالت أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النساء.

(23) وأتت أمية قومها بأفضل مما ولدته مريم وهو عيسى عليه السلام.

(24) شممتها الملائكة: قالت له رحمك الله، والشفاء قابلته، وهي أم عبد الرحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنة، وقولها ما أخرجه أبو نعيم وإخلاصته إرهابات ميلاده.

(25) أفاد أن رفع النبي رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعة وسيادته.

(26) وفي وضعه وبصره ناظر إلى السماء إشارة إلى أنه لا يقصد إلا أعلى المراتب.

(27) وحين وضعه تدلت وذنت النجوم المضيئة فأضأت بضوئها نواحي السماء.

(28) ومن آيات ميلاده أن قصور قيصر ريفت فراها من داره بمكة.

(29-30) ابتداء من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنه ظهرت برضاعه معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة، ويسمى ما قبل البعثة: إرهاباً، وبعدها: معجزة، وقد أبته المرضعات ليطمه، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيماً لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءت من آل سعد فتاة هي حليلة السعدية وأرضعته.

- إِذْ أَبْتَنُهُ لِيُتِمَّهُ مُرَضَعَاتٌ قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا عَنَاءٌ (30)
- فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبْتَنَهَا لِقَرِّهَا الرُّضْعَاءُ (31)
- أَرْضَعَتْهُ لِبَانَتِهَا فَسَقَّتْهَا وَبَيْنَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ (32)
- أَصْبَحَتْ شُؤلاً عِجافاً وَأَمْسَتْ مَا بَهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ (33)
- أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلِّ إِذْ عَدَا لِلَّيِّ مِنْهَا غِذَاءُ (34)
- يَا هَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الْأَجْرُ رُ عَلَيَّهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ (35)
- وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهِ أَنْاساً لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعْدَاءُ (36)
- حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَايِلَ وَالْعَصُوفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعْفَاءُ (37)
- وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ وَبِهَا مِنْ فَصَالِهِ الْبُرْحَاءُ (38)
- إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ هِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَّاءُ (39)

(32) ومن كرامة هذا المولود أن حليلة بعدما كانت في حذب سقته الشاء وهي جمع شاة.

(33) ومن كرامته أيضاً أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمسّت ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.

(34) الخصب ضد الجذب، ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجذب عند حليلة، وخصوية العيش كثرة القوت، والمخل: شدة الجذب وانقطاع المطر.

(35) قد تعجب من منة حليلة بالإرضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المخل.

(36) وإذا وفق الله أناساً لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.

(37) وشبه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبدورة التي تضاعف إنتاجها والعصف الورق اليابس.

(38) وحين أرجعته لجدّه كان وحدها لفرقه التأم الكثير وهو البرحاء.

(39) وأرجعته لجدّه حين خافت عليه عندما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.



- وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنَ الْوَجْهِ ذَلِيلٌ تَضَلَّى بِهِ الْأَحْشَاءُ⁽⁴⁰⁾
- فَارَقَتْهُ كَرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا تَأْوِيلاً لَا يُمَلُّ مِنْهُ الشَّوَاءُ⁽⁴¹⁾
- شُقِّ عَنِ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ مُضْعَةٌ عِنْدَ عَسَلِهِ سَوْدَاءُ⁽⁴²⁾
- خَتَمَتْهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ دِعَ مَا لَمْ تُدْعَ لَهُ أَنْبَاءُ⁽⁴³⁾
- صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامَ فَلَا الْفَ ضُ مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ⁽⁴⁴⁾

نشأته في حال طفولته وما بعدها

- أَلْفَ النَّسْكِ وَالْعِبَادَةَ وَالْحُلَّةَ وَهَ ظِفْلًا وَهَكَذَا التُّجْبَاءُ⁽⁴⁵⁾
- وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ⁽⁴⁶⁾

حجب الشياطين عند دنو البعثة

- بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُبَ بَحْرًا حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا
- تَطَرُّدُ الْجِنَّ عَنِ مَقَاعِدَ لِلْسَّمِّ عِ كَمَا تَطَرُّدُ الذَّبَابِ الرِّعَاءُ⁽⁴⁷⁾⁽⁴⁸⁾

(40) ورأى جده عبد المطلب شدة وجددها ومحبتها له فردده لها وهذا في المرة الأولى.

(41) وحين ردهتة حليلة المرة الثانية خوفاً عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها حده ففارقته كرها.

(42) لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره وإخراج مضغعة سوداء منه، والمضغعة قطعة لحم قدر ما يمضغ.

(43) ثم بعد شق صدره لأُمَّتُهُ وَأَعَادَتْهُ بِمَعْنَى الْأَمِينِ أَي جَبْرِيْلَ وَأُوْدِعَ فِيهِ مَا لَمْ تَحْطُ بِهِ أَخْبَارًا.

(44) حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

(45) وقد أثر شق قلبه فألف العبادة والحلوة وهكذا النجباء.

(46) وإنما كان هذا شأن النجباء لأن الهداية إذا حلت القلب نشطت الأعضاء.

(47) لما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحرست السماء بالشهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النار تنفصل من الكواكب تحرق الشيطان.

(48) وهذه الشهب تطرد الجن الذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السمع كما يطرد الرعاة الذباب العادية.

- فَمَحَتْ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَا تِ مِنْ الْوَحْيِ مَا هُنَّ إِحْيَاءُ (49)
- وَرَأَتْهُ خَدِيجَةً وَالتَّقَى وَالـ (50)
- وَأَتَاهَا أَنَّ الْعَمَامَةَ وَالسَّرُ (51)
- وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعَدَ رَسُولُ (52)
- فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحـ (53)
- وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرِيْلُ (54)
- فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْحِمَارَ لِتَدْرِي (55)
- فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جَبْرِيـ (56)
- فَاسْتَبَانَتْ خَدِيجَةً أَنَّهَ الْكَنـ (57)

(49) وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها الخو.

(50) أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سحاياة الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(51) أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

1- أن الغمامة أظلمته، والغمامة هي السحابة.

2- أن السرح وهي الشجر العظام أظلمته حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

(52) وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

(53) وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذكائها ما تمتته وأملته.

(54) ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحببت أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين علم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار.

(55) وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الحمار وهو ما يغطي به الرأس لتشاهد وبذلك تبين أنه وحي لا إغماء.

(56) واختفى جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

(57) وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.



الجِدِّ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ

ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
أُمَّماً أَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا
رَبِّ إِنَّ الْهُدَى هُدَاكَ وَآيَا
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَلَّ
إِذْ أَبَى الْفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبِ الْفِيءِ
وَالْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أَخُو
وَبِحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيّاً بِأَرْضِ

وَفِي الْكُفْرِ بَجْدَةٌ وَإِبَاءٌ⁽⁵⁸⁾
رَ قَدَاءُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءٌ⁽⁵⁹⁾
وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ⁽⁶⁰⁾
تَكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ⁽⁶¹⁾
هِمْ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقْلَاءُ⁽⁶²⁾
لِي وَمَ يَنْفَعِ الْحِجَا وَالذِّكَاؤُ⁽⁶³⁾
رِسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُصْحَاءُ⁽⁶⁴⁾
أَلْفَتَهُ ضَبَابُهَا وَالظَّبَّاءُ⁽⁶⁵⁾

الهجرة

وَسَلَّوْهُ وَحَنَّ جِدْعٌ إِلَيْهِ
وَقَلَّوْهُ وَوَدَّهُ الْعُرْبَاءُ⁽⁶⁶⁾

(58) جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى: "يا أيها المدثر قم فأندر".

(59) أُمَّماً: مفعول يدعو، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه.

(60) أشار في هذا البيت إلى أمة الإجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد.

(61) الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيئته.

(62) ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء.

(63) وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة.

(64) وكذلك حين امتنعت قريش من الإيمان أفصح الجماد كالجدع الذي حن إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

(65) أشلك الله القوم الذين جفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه ألقه الضب والغزال وحديثهما لا أصل لهما.

(66) وسلا عنه قومه وحن إليه الجذع الذي يستند إليه حين يحطّب وأبغضوه وأحبه الغبراء وهم الأنصار: الأوس والخزرج الذين لقوه قبل

الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبان الثلاث.

- أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهُ عَزَّازٌ وَحَمَّامَةٌ حَمَامَةٌ وَرَفَاءٌ⁽⁶⁷⁾
 وَكَفَّتُهُ بِنَسِجِهَا عَنكُبُوتٌ
 مَا كَفَّتُهُ الْحَمَامَةُ الْخُصْدَاءُ⁽⁶⁸⁾
 هُوَ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخُفَاءُ⁽⁶⁹⁾
 قَتَّ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْخَاءُ⁽⁷⁰⁾
 أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ⁽⁷¹⁾
 وَتَهُ فِي الْأَرْضِ صَافِقٌ جَرْدَاءُ⁽⁷²⁾
 فَوْقَ وَقد يُنْجِدُ الْعَرِيقَ النَّدَاءُ⁽⁷³⁾

الإسراء والمعراج

- فَطَلَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوَاتِ
 فَصَفَّ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمُخْ
 تِ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ⁽⁷⁴⁾
 تَارَ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ⁽⁷⁵⁾

(67) وحين أذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة خرج من مكة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في فم الغار حمامتان.

(68) وكما حتمت الحمامتان كذلك حتمت العنكبوت بنسجها والحمامة الخصداء كثيرة الريش.

(69) ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور لحناءة الله به وكان مكته في الغار ثلاث ليال.

(70) قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين غرة ربيع الأول (13 سبتمبر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول (20 سبتمبر) وكانت مدة سفره ثمانية أيام.

(71) وتغنت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

(72) وتابع أثره سراقه بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثم قام فركبها فدعا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

(73) وحين خسفت الأرض بفرس سراقه استنجد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأن الغريق ينجده النداء.

(74) تحدث على الإسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلى الله عليه وآله وسلم الأرض والسماوات حين الإسراء والمعراج، والمعارج عشرة.

(75) أمر الناظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء إلى ما شاء الله،

وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ — وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعَسَاءُ⁽⁷⁶⁾
 رَبِّ تَسْقُطُ الْأَمَانِيُّ حَسْرَى
 دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ⁽⁷⁷⁾
 ثُمَّ وَافَى يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْرًا
 إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ⁽⁷⁸⁾

التبليغ والدعاء إلى الله

وَتَحَدَّى فَأَرْتَابَ كُلُّ مُرِيْبٍ
 وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَاءَ
 وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوْ
 فِيمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِأَنْتَ
 وَأَسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرِ وَقَفَّحٍ
 أَوْ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْعُغَاءُ⁽⁷⁹⁾
 سَقَّ عَلَيْهِ كُفْرٌ بِهِ وَأَزْدِرَاءُ⁽⁸⁰⁾
 حِيدٍ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ⁽⁸¹⁾
 صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءُ⁽⁸²⁾
 بَعْدَ ذَلِكَ الْخُضْرَاءُ وَالْعَبْرَاءُ⁽⁸³⁾

وكان الإسراء والمعراج بالجسم والروح.

(76) وقرب صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وشبه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين آخره وهو الخلل الذي يريظ فيه الوتر.

(77) ونوه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأمانى.

(78) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الإسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه بما أزال كل شيء.

(79) وتحدى كفار مكة بالإسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حججهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغناء وهو ما يجمله السيل من النبات.

(80) تحدى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الإنكار من الكفر والاستهزاء. وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(81) وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعاً وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

(82) وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(83) وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً استجاب لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

- وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبِ الْعَزْبُ بِنَاءِ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ⁽⁸⁴⁾
وَتَوَالَاتِ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةِ الْكُبْرَى رَى عَلَيْهِمُ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ⁽⁸⁵⁾
وَإِذَا مَا تَلَا كِتَاباً مِنَ اللَّهِ تَلْتُهُ كَتِيْبَةً حَضْرَاءُ⁽⁸⁶⁾

كفاية الله تعالى له

- وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ⁽⁸⁷⁾
وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فَنَاءِ الْبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ⁽⁸⁸⁾
وَالرَّذَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ⁽⁸⁹⁾ خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءِ
فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ وَكَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَعُوثَ
وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدَشَةٌ سَهْمٍ وَقَضَتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا
عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ⁽⁹⁰⁾ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِسْقَاءُ⁽⁹¹⁾
قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيْةُ الرَّقْطَاءُ⁽⁹²⁾ صِي فَلِلَّهِ النَّفْعَةُ الشُّوْكَاءُ⁽⁹³⁾

(84) وأطاعت أي استجاب له العرب العنقاء وهم الخنص والجاهلية الجهلاء.

(85) وتوالت وتتابعت له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيطة بهم.

(86) وإذا تلا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.

(87) وكفاه ربه تعالى الذين اشتدت إذايتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.

(88) وأصاحم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.

(89) وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.

(90) ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مطلق بن أسد العمى الذي أهلكه.

(91) كما دهم الأسود بن عبد يعوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.

(92) وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات وهذه الخدشة أشد من السهم.

(93) وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخمص رجله فمات بسببها.



وَعَلَى الْحَارِثِ الْقُيُوشِ وَقَدْ سَأَلَ رَأْسَهُ وَسَاءَ الْوَعَاءُ⁽⁹⁴⁾
خَمْسَةَ طُهُرَتْ بِقَطْعِهِمْ الْأَرْضَ فَكَفَّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءً⁽⁹⁵⁾

نقض الصحيفة

فُذِيتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْحَمِّ⁽⁹⁶⁾
فَتِيَةٌ بَيَّتُوا عَلَيَّ فِعْلٍ خَيْرٍ⁽⁹⁷⁾
يَالَ أَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ⁽⁹⁸⁾
وَزُهَيْرٍ وَالْمُطْعِمِ بِنِ عَدِيٍّ⁽⁹⁹⁾
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَ⁽¹⁰⁰⁾
أَذْكُرْتَنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مَنْسَا⁽¹⁰¹⁾
وَهَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَكَمْ أَخَا⁽¹⁰²⁾

(94) وقضت على الحارث مولى الطلائفة القيوح التي سألت من رأسه.

(95) فهؤلاء الذين استحبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.

(96) سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة المالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سبع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثاً حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.

(97) فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرض أي السوس.

(98) ياله من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.

(99) ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البحتري.

(100) فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العداء الأنداء جمع ناد، وهو العشيبة.

(101) أفاد أن لأكل الأرض الصحيفة نظيراً هو أكلها لمنساة سليمان والمنساة: العصا.

(102) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرض أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلا اسمه تعالى، وكم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.



عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

(103)	حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمْ الْأَسْوَاءُ	لَا تَحُلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا
(104)	دَّهُ فِيهِ مُحَمَّدٌ وَرَحَاءُ	كُلُّ أَمْرِ نَابِ النَّبِيِّينَ فَالْتَبَّ
(105)	رَلَمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاءُ	لَوْ يَمَسُّ النُّضَارَ هَوْنٌ مِنَ النَّا
(106)	وَفِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ	كَمْ يَدٍ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ
(107)	مِنْهُ فِي كُلِّ مُقْلَةٍ أَفْدَاءُ	إِذْ دَعَا وَحَدَّهُ الْعِبَادَ وَأَمَسَتْ
(108)	فُ وَفَاءٌ وَفَاءَتِ الصَّفْوَاءُ	هَمَّ قَوْمٌ بِمَقْتَلِهِ فَأَبَى السَّيِّ
(109)	لِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ	وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَحْ
(110)	سِيٍّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشِّرَاءُ	وَأَقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دِينَ الْإِرَاشِ
(111)	يُنَجُّ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ	وَرَأَى الْمُصْطَفَى أَنَّهُ بِمَا لَمْ
(112)	مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ	هُوَ مَا قَدْ رَأَهُ مِنْ قَبْلِ لَكِنْ

(103) لا تظن جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضاماً أي مضيعاً حين مسه الأذى من المشركين.

(104) وما أصابه من الشدة له فيه أسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كل أمر أصاب النبيين فالشدة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك الرعاء.

(105) الأنبياء كالذهب الذي لا يمسه العيب بعرضه على النار، فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.

(106) كم يد أرادت إذابته فكفها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.

(107) فحين دعا كل العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعومهم في رين كالعين الرمضاء.

(108) قد هم قوم يقتله صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه، والصفواء الحجارة.

(109) وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام همَّ بقتله فرأى ما هاله فأحجم، والعنقاء طير عظيم.

(110) طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.

(111) وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.

(112) رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلاً مهولاً ولكنه لم يتعظ فإنَّ خطاه لا ينحصر.



- وَأَعَدَّتْ حَمَالَةَ الْحُطَبِ الْفَهْرَ — وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ⁽¹¹³⁾
يَوْمَ جَاءَتْ غَضِي تَقُولُ أَبِي مَثُ — لِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ⁽¹¹⁴⁾
وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيِّ — نَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةً عَمِيَاءُ⁽¹¹⁵⁾
ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةَ الشَّا — هَ وَكَمْ سَامَ الشَّمْثُوهَ الْأَشْقِيَاءُ⁽¹¹⁶⁾
فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَا — رٍ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ⁽¹¹⁷⁾

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم ومحاسن صفاته

- وَيَخْلُقِي مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمِ — لَمْ تُفَاصَّصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ⁽¹¹⁸⁾
مَنْ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا — نَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رِيَاءُ⁽¹¹⁹⁾
وَأَتَى السَّبِيَّ فِيهِ أُخْتُ رِضَاعِ — وَضَعَ الْكُفْرَ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ⁽¹²⁰⁾
فَحَبَّأَهَا بِرّاً تَوَهَّمَتِ النَّا — سُ بِهِ أَمَّا السِّبَاءُ هِدَاءُ⁽¹²¹⁾
بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَائِ — أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَلِكَ الرِّدَاءُ⁽¹²²⁾

- (113) وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطاب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
(114) أعدت الحجر يوم جاءت غضي حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.
(115) لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.
(116) ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.
(117) فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.
(118) عدد الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها: الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصاً، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتض منها.
(119) ومن خلقة الكريمة أن من على قبيلة هوازن تفضلاً وكرماً، وهوازن قبيلة حليمة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.
(120) وكان في السبي أخته من الرضاع فأكرمها كما يأتي:
(121) فأعطى برّاً بما جعل الناس يتوهمون أن السبي نساء عرس.
(122) ومن إكرامه لأخته من الرضاع أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه فبهنيها لها ذلك الإكرام.



- فَعَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسَاءِ — وَوَالَسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءٌ (123)
- فَتَنَزَّرَتْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ — هِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءٌ (124)
- وَأَمَّا السَّمْعُ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيهِ — هَا عَلَيْكَ الْإِنشَادُ وَالْإِنْشَاءُ (125)
- كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْ — عَبَّ أَحْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءٌ (126)
- سَيِّدُ ضِحْكِهِ التَّبَسُّمُ وَالْمَشَى — سِي الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ (127)
- مَا سَوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا عَيْفَ — رَرَ مُحْيَاهُ الرُّوضَةَ الْعُنَّاءُ (128)
- رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ — وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءٌ (129)
- لَا تَحُلُّ الْبِاسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبَبِ — رِرٍ وَلَا تَسْتَحِقُّهُ السَّرَّاءُ (130)
- كَرَمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَحْطُرُ السُّو — ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ (131)
- عَظُمَتْ نِعْمَةُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ — فَاسْتُثْقِلَتْ لِذِكْرِهِ الْعُظْمَاءُ (132)

(123) فصارت به أخته من الرضاع سيدة النساء.

(124) لما ذكر ما احتص به من كريم الخلال طلب من العلاء أن يتزهوا في سماع صفاته الذاتية وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

(125) إملاء السمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يملئها إنشاد الشعر.

(126) ومما يحملك على التنزه في ذاته ومعانيه أنك كلما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

(127) ذكر من شئمله في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسماً ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنه تمام عينه ولا ينام قلبه.

(128) بعدما أتمى الكلام على محاسن ذاته الشريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أن النسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أن

وجهه هو الروضة الغناء وهي الكثيرة النبات والأزهار.

(129) وكله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

(130) لا تحل الشدة أسباب الصبر ويكتفيك من صبره أن المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم

قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

(131) إنما اتصف بمجده الكمالات لأنه كرمت نفسه وظهرت من كل نقص فلا يحظر السوء على قلبه ولا الفحشاء.

(132) كانت نعمة الله عليه عظيمه، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

- جَهَلْتُ قَوْمَهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخْوَجُوا الْحِلْمَ دَابُّهُ الْإِغْضَاءُ⁽¹³³⁾
- وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهُوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الْأَعْبَاءُ⁽¹³⁴⁾
- مُسْتَقِيلٌ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الْإِمَامُ سَاكُ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ⁽¹³⁵⁾
- شَمْسٌ فَضْلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رَفَعَهُ وَالضِّيَاءُ⁽¹³⁶⁾
- فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَى نُورُهُ الظِّلَّ لَ وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالَ الضُّحَاءُ⁽¹³⁷⁾
- فَكَأَنَّ الْعِمَامَةَ اسْتَوْدَعْتَهُ مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَعَاءُ⁽¹³⁸⁾
- خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا بَتَ بِهِ عَن عَقُولِنَا الْأَهْوَاءُ⁽¹³⁹⁾
- أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلَّى أَمَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ⁽¹⁴⁰⁾
- مُعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالِ كَرِيمُ الخَلْقِ وَالخُلُقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ⁽¹⁴¹⁾
- لَا تَقْسُ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ⁽¹⁴²⁾
- كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْ لِ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الْفُضَّلَاءُ⁽¹⁴³⁾

(133) أغضى عنم آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له، وهذا الإغضاء دأب حال أخي الحلم فلا ينتقم.

(134) وسع صلى الله عليه وآله وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

(135) ومن أوصافه الكريمة أنه محتقر للدنيا إمساكها وإعطائها.

(136) وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلها مستمدة منه وقد تحقق أنه الشمس والضياء رفعة.

(137) وهو أقوى ضياء من الشمس فلذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محا نوره الظل.

(138) كأن الغمامة لما أظنته استودعته من أظلتهم الدفء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمة في ظله.

(139) وقد خفيت أمام فضائله كل الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

(140) استنفهم، هل يوجد مع الصبح للنجوم إشراق، وهل يبقى الظلام مع الصبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضلال مع

هدايته.

(141) قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادله وكثير العطاء.

(142) لا تقس أي أحد في الفضل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو البحر والأنام إضاء أي غدران.

(143) وكل فضل في جميع العالمين إنما استعاره الفضلاء منه.



- رُ وَمِنْ شَرِطٍ كُلِّ شَرِطٍ جَزَاءٌ⁽¹⁴⁴⁾ شُقٌّ عَنِ صَدْرِهِ وَشُقٌّ لَهُ الْبَدِ
 وَمَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ⁽¹⁴⁵⁾ وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً
 سَنَةً مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ⁽¹⁴⁶⁾ وَدَعَا لِالْأَنْامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ
 عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ⁽¹⁴⁷⁾ فَاسْتَهَلَّتْ بِالغَيْثِ سَبْعَةٌ أَيُّهَا
 وَحَيْثُ الْعَطَاشُ تُوهَى السِّقَاءُ⁽¹⁴⁸⁾ تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّغْيِ وَالسَّمِيِّ
 وَرَحَاءُ يُؤْذِي الْأَنْامَ غَلَاءُ⁽¹⁴⁹⁾ وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا
 وَصَفِ غَيْثٍ إِفْلَاحُهُ اسْتِسْقَاءُ⁽¹⁵⁰⁾ فَدَعَا فَايْجَلَى الْعَمَامُ فَقُلْ فِي
 بِقُرَاهَا وَأَحْيَيْتْ أَحْيَاءُ⁽¹⁵¹⁾ ثُمَّ أَنْزَلَ النَّزْرَ فَقَرَّتْ عُيُونُ
 أَشْرَقَتْ مِنْ نُجُومِهَا الظَّلْمَاءُ⁽¹⁵²⁾ فَتَرَى الْأَرْضَ غَيْبَهُ كَسَمَاءِ
 رُ زُبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحُمْرَاءُ⁽¹⁵³⁾ تُحْجِلُ الدُّرَّ وَالْيَوَاقِيَتَ مِنْ نَوْ

(144) شرع في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فذكر منها شق صدره كما تقدم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه جزء شق صدره.

(145) ومن معجزاته أنه رمى كفاً من الحصى فأهلك جيشاً وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بمجده المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السحرة.

(146-147) ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجذب فاستهلَّت الأمطار سبعة أيام.

(148) وصف السحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواضع العطاش.

(148-149) ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فاجلَى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(150-151) ثم بعد ذلك الغيث النافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون وبسبب عمارة القرى، حتى أصبحت الأرض من النبات والأزهار كالسما من النجوم. ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فاجلَى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(153) وبسبب كثرة الأزهار والأعشاب أخجلت الدر واليواقيت.



تمني الناظم رؤيته ولقائه صلى الله عليه وآله وسلم

(154)	زَالَ عَنِ كُلِّ مَنْ رَأَهُ الشَّقَاءُ	لَيْتَهُ حَصَّني بِرُؤْيَا وَجْهِ
(155)	مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ	مُسْفِرٍ يَلْتَقِي الْكُتَيْبَةَ بَسًا
(156)	زَرَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ	جُعِلَتْ مَنْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ
(157)	وَكَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبِرَاءُ	مُظْهِرٍ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرِّ
(158)	لِجَمَالِ لَهُ الْجَمَالِ وَقَاءُ	سُوتِرِ الْحُسْنِ مِنْهُ بِالْحُسْنِ
(159)	مَمَامٍ وَالْعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللَّحَاءُ	فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفِ
(160)	هُ لِسِرِّ فِيهِ حَكْتَهُ دُكَاءُ	كَأَدَّ أَنْ يُعْشِيَ الْعُيُونَ سَنَى مِنْ
(161)	هَرَّ فِيهِ آثَارُهَا الْبِئْسَاءُ	صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْ
(162)	أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِرَاءُ	وَحَخَالِ الْوُجُوهِ إِنْ قَابَلْتَهُ
(163)	أَذْهَلْتِكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ	فَإِذَا شِمْتَ بِشَرِّهِ وَنَدَاهُ

(154) شرع من هذا البيت في تمني لقائه صلى الله عليه وآله وسلم فتمنى أن يخضع بروية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشقاء

(155) ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسماً في الوقت الذي تتغير فيه الوجوه بسبب اللقاء.

(156) وجعلت لهذا الوجه الكريم الأرض مسجداً والأمة تبع له واهتز جبل حراء بهذا الجعل، وحراء الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة

(157) وجهه الكريم أظهر شحمة جبينه مع برئها فكانت تلك الشحمة غاية في الجمال كالهلل أول ليلة.

(158) وسُوتِرَ الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشحمة.

(159) ما ظهر من الشحمة كالزهر ظهر من الأكمام وهي أعظية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أنزل عنه قشره.

(160) وكاد جمال وجهه بالشحمة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس.

(161) وصان جمال وجهه في حسنه وسكينة أن تظهر فيه آثارها البئساء.

(162) وتخلل الوجوه إذا قابله فتلون كما تلون الحرايا.

(163) فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده.



- أَوْ بِتَقْيِيلِ رَاحَةِ كَمَا كَانَ اللَّهُ وَبِإِلَهِ اللَّهِ أَحْزَاهَا وَالْعَطَاءُ (164)
- تَقْيِي بِأَسْهَائِ الْمُلُوكِ وَتَحْطَى (165)
- لَا تَسْأَلُ سَيْلَ جُودِهَا إِمَّا يَكُ (166)
- ذَرَّتِ الشَّاهُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا (167)
- نَبَعَ الْمَاءُ أَثْمَرَ النَّخْلِ فِي عَا (168)
- أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ (169)
- فَتَعَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفُ جِيَاعٍ (170)
- وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ (171)
- كَانَ يُدْعَى قِنَافًا عُتِقَ لَمَّا (172)
- أَفْلا تَعْدِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا (173)

(164) لما أُمِّي تَمِّي رُؤْيَا وَجْهَهُ الْكَرِيمِ وَأَوْصَافَهُ تَمِّي تَقْيِيلِ رَاحَتِهِ الَّتِي كَانَ اللَّهُ أَحْزَاهَا وَعَطَاؤَهَا.

(165) وَكَفَهُ هَذِهِ تَقْيِي بِأَسْهَائِ الْمُلُوكِ وَتَحْطَى أَي تَفُوزُ بِالغَنَى مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءِ.

(166) وَلَا تَسْأَلُ جُودَ هَذِهِ الْكُفِّ لِأَنَّهُ يَكْفِيكَ الْبَلْبَلُ مِنْهَا لِأَنَّ فِيهَا الْغَنَى.

(167) وَقَدْ ذَرَّتْ هَذِهِ الرَّاحَةَ الْكَرِيمَةَ الشَّاهُ حِينَ حَلَبِهَا وَذَلِكَ حِينَ الْمَجْرَةِ.

(168) وَظَهَرَتْ مِنْ رَاحَتِهِ مَعْجَزَاتُ مِنْهَا نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَإِنَّمَارُ النَّخْلِ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَمَا سَبَّحَتْ الْحِصْبَاءُ.

(169) وَأَحْيَتِ هَذِهِ الْكُفِّ الْمُرْمِلِينَ وَهَمَّ الَّذِينَ لَا زَادَ لَهُمْ فِي وَقْتِ الْجَدْبِ عِنْدَمَا فَقَدَ الْقَوْمُ الزَّادَ وَالْمَاءَ.

(170) وَمِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّمَا عَدَّتْ بِصَاعٍ وَاحِدٍ أَلْفُ جَائِعٍ، كَمَا أُرْوَتْ الْأَلْفُ الظَّمَاءُ، أَشَارَ إِلَى أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ كَانَ عَلَيْهِ دِينَ مَكَاتِبَةٍ

وَهُوَ أَرْبَعُونَ أَوْقِيَةً فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْرَ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ أَي الْذَهَبِ فَوْقَ دِينِهِ.

(171) أَشَارَ إِلَى أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ كَانَ عَلَيْهِ دِينَ مَكَاتِبَةٍ وَهُوَ أَرْبَعُونَ أَوْقِيَةً فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْرَ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ

أَي الْذَهَبِ فَوْقَ دِينِهِ.

(172) وَكَذَلِكَ كَاتِبَهُ سَيِّدُهُ عَلَى غَرَسٍ ثَلَاثِمِائَةَ نَخْلَةٍ فَغَرَسَهَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَثْمَرَتْ مِنْ عَامِهَا.

(173) وَالْأَقْنَاءُ جَمْعُ قَنُو وَهُوَ الْعَذْقُ أَلَا تَعْدِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا اعْتَرَتْهُ الْعُرْوَاءُ أَي الْحُمَى حِينَ ذَكَرَ الْيَهُودِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



- وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْهُ أَطْبَئُهُ وَإِسَاءُهُ (174)
 وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ فَأَرْتَهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ (175)
 وَأَعَادَتْ عَلَيَّ قَتَادَةَ عَيْنًا فَهِيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ (176)
 أَوْ بِلَثْمِ الثُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَأَنْتَ حَيَاءٌ مِنْ مَشْيِهَا الصَّفْوَاءُ (177)
 مَوْطِي الْأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ ب إِذَا مَضَجَعِي أَقْضَ وَطَاءُ (178)
 حَظِي الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَمَشَا هَا وَمَ يَنْسَ حَظَّهُ إِبِلِيَاءُ (179)
 وَرَمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظَلَمَ اللَّيْمُ ل إِلَى اللَّهِ حَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ (180)
 دَمِيَتْ فِي الْوَعَى لِتُكْسَبَ طَيْبًا مَا أَرَاكَتَ مِنْ الدَّمِ الشُّهْدَاءُ (181)
 فَهِيَ قُطْبُ الْمِحْرَابِ وَالْحَرْبِ كَمْ رَتْ عَلَيَّهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءُ (182)
 وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسْكَنْ بِهَا قَبْ لِحِرَاءَ مَا جَتَ بِهِ الدَّمَاءُ (183)

القرآن

- (174) ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وآله وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عنه الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.
 (175) ومن أوصافها أنها برئت بما عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام. وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.
 (176) وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر، أي ليته خصني بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.
 (177) المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته قدامه لسرى سرهما إلى قلبه والأخص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.
 (178) ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بممشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.
 (179) ومنها: أنها ورمت - بكسر الراء - أي تورمت حين قام بما تصجداً في الليل.
 (180) وكذلك دميت قدمه في الوعى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيباً.
 (181) وهي قطب المحراب والحرب معاً، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.
 (182) اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطراب الجبل.
 (183) عجب من الكفار حين زادوا ضلالاً مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.



- عَجَباً لِّلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالاً بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُتُولِ اهْتِدَاءٌ⁽¹⁸⁴⁾
- وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ كِتَابٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ اللَّهِ ذِكْرٌ أَعَجَزَ الْإِنْسَ آيَةً مِنْهُ وَاجِبٌ كُلَّ يَوْمٍ تُهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِيعُ وَالْأَفْ رَقٌّ لَفْظاً وَرَاقٌ مَعْنَى فَجَاءَتْ وَأَرْتَنَّا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ إِمَّا بُجِّتَ الْوُجُوهُ إِذَا مَا سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ سُوراً مِنَ وَالْأَقَاوِيلُ عَنْدَهُمْ كَالْتِمَاطِيهِ
- مُنَزَّلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتَقَاءٌ⁽¹⁸⁵⁾
- فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءٌ⁽¹⁸⁶⁾
- سَنَ فَهَلَّا تَأْتِي بِهَا الْبُلْعَاءُ⁽¹⁸⁷⁾
- مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرْءِ⁽¹⁸⁸⁾
- سَوَاءٌ فَهَوَ الْخَلِيُّ وَالْخَلْوَاءُ⁽¹⁸⁹⁾
- فِي خُلَاهَا وَحَلِيهَا الْخُنْسَاءُ⁽¹⁹⁰⁾
- رِقَّةٌ مِنْ زُلَاهَا وَصَفَاءُ⁽¹⁹¹⁾
- جُلِيَّتْ عَنْ مِرَاهَا الْأَصْدَاءُ⁽¹⁹²⁾
- سَنًا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظْرَاءُ⁽¹⁹³⁾
- سَلٌ فَلَا يُوهَمَنَّكَ الْخُطْبَاءُ⁽¹⁹⁴⁾

(184) سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتاً وعباداً فأتاهم به وحياً من الله جل وعلا.

(185) يتعنتون ولم يكنفهم القرآن المعجز الذي فيه للناس رحمة وشفاء.

(186) شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلاً يأتي بآية البلغاء.

(187) ولاشتمال القرآن على مالا يحصى من العلوم والمعانيات وغير ذلك كان في كل وقت تُهدي القراء إلى السامعين معجزات من لفظه

(188) تتحلى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حلي وللأفواه حلواء.

(189) قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.

(190) وأوضحت آيات القرآن الرقية الحلوة الصافية غوامض وخفايا من العلوم والمعارف المستنبطة منه.

(191) وآيات القرآن لا تظهر إلا للقول السليمة لأنه لا يُجتلى الوجه وتظهر إلا في المرآة الصافية.

(192) ثمائل سور القرآن الفضلاء منا.

(193) ما تقوله الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفتهم للتمائيل.

(194) كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

- كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ عَنْ حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْهَجَاءُ⁽¹⁹⁵⁾
 فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالْتَّوَى أَعْجَبَ الرُّزُّ
 رَاعٍ مِنْهُ سَنَابِلٌ وَزَكَاةُ⁽¹⁹⁶⁾
 فَطَالُوا فِيهِ التَّزْدُدُ وَالرَّيْبُ
 بَقَّ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا أَفْتِرَاءُ⁽¹⁹⁷⁾
 وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً
 قَالَتِمَّاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ⁽¹⁹⁸⁾
 وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عَلَمٍ
 فَمَاذَا تَقُولُهُ النَّصَحَاءُ⁽¹⁹⁹⁾

ما آل إليه أمر أهل الكتابين

- قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى
 بِالذِّي عَامَلْتَكُمْ الْخَفَاءُ⁽²⁰⁰⁾
 صَادِقُوا كَتَبَكُمْ وَكَذَبْتُمْ كُنْتُمْ
 بِهِمْ إِنَّ ذَا لِبَيْسٍ الْبَوَاءُ⁽²⁰¹⁾
 لَوْ جَحَدْنَا جُحُودَكُمْ لَأَسْتَوِينَا
 أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتِوَاءُ⁽²⁰²⁾
 مَالِكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْسَاءُ
 لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ⁽²⁰³⁾
 يَحْسُدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَا زَا
 لَ كَذَا الْمُحَدَّثُونَ وَالْقُدَمَاءُ⁽²⁰⁴⁾

(195) إن حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبذور.

(196) والكفار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحرٌ وافتراء في كتاب الله.

(197) وإذا البيّنات والحجج الواضحة لم تقدمهم شيئاً فطلب الهدى من البيّنات عناء.

(198) وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء من الأنبياء والمبلغين.

(199) شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتمكم

الخنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أن أهل الإسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

(200) صدق قوم عيسى بالتوراة وكذب اليهود بالإنجيل فبست المكافأة.

(201) لو جحد المسلمون كتابكم أيها اليهود كما أنكرتم كتابنا والإنجيل لاستوينا، ثم بين أنه لا يكون ذلك ولا يتصور لأننا لا نجحد

الحق

(202) ما لكم يا أهل الكتاب أنسأ لا يصدر منكم مراعاة للدين الحق.

(203) ومن عدم رعايتكم للحق أن الأول يحسد الأخير.

(204) قد علمتم يا أهل الكتاب بظلم قبايل وهو أول أولاد آدم عليه السلام هايبل وهو ثاني أولاد آدم حسداً له.



- قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَائِلِ هَابِلٍ (205)
- وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أُنْبَاءٍ يَعْتَمِدُوا (206)
- حِينَ أَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ جُحَيْبٍ (207)
- فَتَأَسَّسُوا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ (208)
- أَتَرَاكُمْ وَقَيْتُمْ حِينَ خَانُوا (209)
- بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا (210)
- بَيِّنْتُهُ نَوْرَاتُهُمُ وَالْأَنَاجِي (211)
- إِنْ تَقُولُوا مَا بَيَّنَّتْهُ فَمَا زَا (212)
- أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَّتْهُ فَمَا لِي (213)
- عَرَفْتُمْ وَهِيَ وَأَنْكَرْتُمْ وَظَلَمْنَا (214)
- أَوْ نُورَ الْإِلَهِ تُظْفِئُهُ الْأَف (215)
- لَمْ وَمُظْلَمٌ وَإِخْوَةَ الْأَثْقِيَاءِ (205)
- بِ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ (206)
- وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ (207)
- فَالْتَأَسَّيَ لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ (208)
- أَمْ تُرَاكِمُ أَحْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا (209)
- ءِ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الْأُنْبَاءُ (210)
- لُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ (211)
- لَتْ بِهَا عَنْ عُيُوبِهِمْ عَشْوَاءُ (212)
- أُذْنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَاءُ (213)
- كَتَمْتَهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَادَةَ (214)
- وَاهُ وَ هُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ (215)

(205) ومخاطب أهل الكتابين بأنهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأحبيهم يوسف حين ألقوه في غيابة الحب ورموه بالسرقة وهو أحومهم الصغير.

(207) وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

(208) ثم قال أتظنكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق حين كنتموه؟، وأتظنكم أحسنتم إذ أسأوا؟ بل لا يرون شيئا من ذلك واستمروا على التجاهل، وتبع الأبناء آثار الآباء الباطلة.

(210) بينت التوراة والأنجيل الحق ومن جملته إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشترك اليهود والنصارى في جحود الحق الغائب في كتبهم.

(211) إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إن كتبهم لم تبين الحق فلم تزل العماية على عيونهم بل هي باقية.

(212) وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأى شيء جعل آذانهم صماء.

(213) عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

(214) ثم قال لا يمكن أن تظفي الأفواه نور الله وهو النبوة.

(215) وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فيها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني

- أَوْ لَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَّ ثَنُومَهُمْ بِرِحَاهَا سَاءَ مَنْ أَمَرَهُ الْهَيْجَاءُ (216)
- وَكَسَاهُمْ ثُوبَ الصَّعَارِ وَقَدْ طُلَّ (217)
- كَيْفَ يَهْدِي إِلَهُ مِنْهُمْ قُلُوبًا (218)
- خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيِّ (219)
- مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ (220)
- وَالدَّعَاوِي مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا (221)
- لَيْتَ شِعْرِي ذَكَرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا (222)
- كَيْفَ وَحَدَّثُمُ الْإِهَاءَ نَفَى التَّو (223)
- أَلِلَّهُ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا (224)
- أَلِكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْ (225)

قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

- (216) اشتد الإسلام على اليهود لِمَا اتصفوا به من المكر فظلت دماء بني قريظة، وصينت دماء بني النضير بإجلائهم.
- (217) كيف يهدي الإله قلوباً لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- (218) أعلمونا أهل الكتابين التوراة والإنجيل من أين أتى التثليث - الله وعيسى ومريم- وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.
- (219) بعد أن استفهم استفهاماً إنكارياً بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.
- (220) وما تدعونه يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه أذعياء.
- (221) بيّن تناقض النصارى في ادعائهم التثليث والتوحيد فحينئذ يكون التثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعواكم التوحيد نقصاً، وأثبت لهم التناقض لأنهم يثبتون التوحيد تارة والتثليث أخرى.
- (222) تعجب في هذا البيت من النصارى كيف يقولون بالتوحيد مع أن نسبة الأبوة والبنوة تنفيه.
- (223) استفهم استفهاماً إنكارياً قائلاً: أيمكن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك مما يحمله العقل.
- (224) إنما أحال العقل أن يكون الإله ذا أجزاء لأنه يلزم أن يكون لكل أحد من الآلة نصيب من الملك مع أن ذلك لم يقع فلا تعدد.
- (225) وإن قيل أن الآلة خلطوا أنصباهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزاً، ثم أنه متى وجدت الشركة وحد التنازع وهو مؤدٍ إلى خراب العالم وهذا أخذٌ من قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء: 22) أي لو كان آلهة في

- أَتَرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَأَضْطَرَّارٍ خَلَطُوهَا وَمَا بَعَى الْخُلَطَاءُ (226)
- أَهْوِ الرَّاكِبُ الْحَمَارَ فَيَا عَجْزاً زَرَّ إِلَيْهِ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ (227)
- أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحَمَارِ لَقَدْ جَاءَ لَ حِمَارٌ يَجْمَعُهُمْ مَشَاءُ (228)
- أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الْإِلَهُ فَمَا نَسَبَ بَهُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِتْمَاءُ (229)
- أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمَ خُصَّ سَتَ ثَلَاثٌ بَوَصْفِهِ وَتُنَاءُ (230)
- أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكْتُهُ فِي مَعَانِي الْبُنُوَّةِ الْأَنْبِيَاءُ (231)
- فَتَلَّتْهُ إِلَيْهِ هُوْدٌ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَلَا مَمْلُوكٌ بِهٖ إِحْيَاءُ (232)
- إِنَّ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّـهِ تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٍ هُرَاءُ (233)

السموات والأرض غير الله لفسدتها لكنهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدد الألهة وثبت التوحيد.

(226-228) أبطل التعدد في هذه الآيات بأسلوب لطيف تحكمي حيث إن المسيح عليه السلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز، والعجز ليس من صفة الإله، ثم تحكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الألهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي يحمل الألهة الثلاثة. وذكر في البيت (228) أن أصحاب عقيدة التثليث إذا قالوا أن الإله غير الثلاثة الركبين على الحمار أحيوا فما نسبة عيسى إلى الإله.

(229-232) ناقش في هذه الآيات الأربعة عقيدة التثليث عند النصارى مبطلاً لها بدليلين: الأول: إن أرادوا بالثلاثة الصفات الإلهية أبطل هذا الاحتمال بأن الصفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها؟ لأنه تحكم، الاحتمال الثاني: إن قالوا إن عيسى ابن الله وهو نبي كسائر الأنبياء فلماذا كان عليكم أن تصفوا كل الأنبياء بالبئنة لله - تعالى عن ذلك-. ثم أبطل ألوهية المسيح بأن النصارى يدعون أن اليهود قتلوه والحال أنه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الصلب وإلا في الحقيقة أن الله رفعه إليه حياً وحتماً بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولاً هراءً أي قولاً فاحشاً.

(233-243) انتقل في هذه الآيات إلى الرد على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبنياً أن كلاً من مقالة النصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شعناء، فاليهود الزاعمون أن النسخ يوجب البداء يرد ما أفاده العقل الرجيح وهو أن الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالتطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه تقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبين حكمة النسخ، ثم شرع البوصيري في الرد عليهم بإلزامهم أنهم إذا أنكروا النسخ يلزم على إنكارهم عجز الواحد القهار، ثم أزم المنكرين للنسخ بأنهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجوز النسخ إذ لا فرق بينهما، ثم وضع هذا الرد بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر والنسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وإنما التبديل في النسخ في الحكم، وفي النسخ في الخلق، ثم انتقل في الرد عليهم إلى أن النسخ هو انتهاء حكم وهو المنسوخ وابتداء لآخر وهو الناسخ، وبالغ في هذا فأمر بسؤال اليهود عن المنسخ أهو نسخ آيات الله أم

- مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلُّ لَزِمْتُمْ مَقَالَةً شَنْعَاءُ (234)
- إِذْ هُمْ اسْتَفْرُؤُوا الْبِدَاءَ وَكَمْ سَأ قَ وَبِالْأَلِ إِلَيْهِمْ اسْتَفْرَاءُ (235)
- وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَمَّ هَارَ فِي الْخُلُقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ (236)
- جَوَّزُوا النَّسَخَ مِثْلَ مَا جَوَّزُوا سَخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ (237)
- هُوَ إِلَّا أَنْ يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُ كُمْ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرٌ سَوَاءُ (238)
- وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ (239)
- فَسَلُّوهُمْ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْءُ وَبِدَاءُ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّـمَّ (240)
- أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذُكْرًا هُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاءُ (241)
- أَمْ بَدَأَ لِلَّهِ فِي ذَبْحِ إِسْحَا بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجِدَ الْإِمْسَاءُ (242)
- أَوْ مَا حَرَّمَ الْإِلَهَ نِكَاحَ الْأَخْ قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءُ (243)
- سَ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّئَاءُ (244)

إنشاء، فإن اعترفوا بأنه نسخ فقد ثبتت الحجة عليهم، وإن قالوا أنه إنشاء فذلك مكابرة. ثم أمر بسؤال اليهود مبالغة في الرد عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم أو خطأ. فإن كان عن قصد فقوله هذا البداء الذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا إن قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغباوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو نحو آية الليل بالنهار أهو سهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين إلزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزم لهم بالقول بالنسخ وهو أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق ثم لما أضحجه نسخ حكم الذبيح بتركه وفداه بذبح عظيم وإنما اقتصر الناظم على أن الذبيح هو إسحاق لأنه في مقام الرد على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة أن الذبيح هو إسماعيل، ثم أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالإقرار بالنسخ هو أن نكاح الأخت كان حلالاً في زمن آدم ثم نسخ الله حكمه بالتحريم.

(244-257) لا سبيل إلى التكذيب بأن اليهود زانغون عن الحق وهم معشر لؤماء كما أنهم من زيعهم جحدوا نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون نحن خير ديناً من محمد؟ قالوا: نعم. ومن زيعهم وسفههم قتلهم الأنبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل الهأ، وقد صاغه لهم السامري من حلي القبط المستعارة. ومن خبيثهم أنهم أحرزهم ما



اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما نالهم من جراء خداعهم

(245)	عُوتُوا عَنِ الْحَقِّ مَعْشَرٌ لُؤْمَاءُ	لَا تُكَذِّبُ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
(246)	عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ	جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
(247)	لِأَلَّا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ	قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَأَخَّذُوا الْعِجَاءَ
(248)	وَوَى وَأَرْضَاهُ الْقَوْمُ وَالْقِتَاءُ	وَسَفِيهِهْ مِنْ سَاءَةِ الْمَنِّ وَالسَّلِّ
(249)	فَهِيَ نَارٌ طَبَاقُهَا الْأَمْعَاءُ	مُلِئَتْ بِالْحَيْثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ
(250)	كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمُ الْأَرْبَعَاءُ	لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالٍ سَبْتٍ بِخَيْرٍ
(251)	رَيْفٍ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ	هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْ

منحهم الله من المن، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السمائي كان من أشهى الطيور لحماً، وسألوا القوم وهو الثوم والقثاء وهو الخيار. ومن مخازيهم أن الحرام وأكل السحت والربا ملئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيراً لجعل السبت الذي هو معنى القطع محله الأربعاء الذي خلق النور فيه، ومع ذلك أن يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتداءً فيه خلق هذا العالم. وذكر أن اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قردة وحنازير. وبسبب ظلم اليهود بأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكفرهم فأنتهم طيبات من الرزق حرّمها الله عليهم، وفي ترك الطيبات هلاك لهم، ثم ذكر ما نالهم من أجل الخداعهم وخداعهم، وخلص ما ذكره أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يبدسون إليهم المكر والخديعة فتعنت أحبارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك إجلال بني النضير من الحجاز إلى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: أسلموهم لأول الحشر...، والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رجع المتحزبون من الكفار ورفّع الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسّم أموالهم وتسي ذراريهم.

- فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكُفْرٍ عَدَّتْهُمْ طَبِيبَاتٍ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءً⁽²⁵²⁾
 خُدِعُوا بِالْمَنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْتِ
 فَتَقُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ⁽²⁵³⁾
 وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَا
 نِهِمْ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ⁽²⁵⁴⁾
 حَاالْفُوهُمْ وَخَاالْفُوهُمْ وَمَ أَدُ
 رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْخُلَفَاءُ⁽²⁵⁵⁾
 عَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيْلَاءُ⁽²⁵⁶⁾
 سَاكِنَ الرُّعْبِ وَالْحَرْابِ قُلُوبًا
 وَيَيُومِ الْأَحْزَابِ إِذْ رَاَعَتِ الْأَبُ
 وَيُيُوتَا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ⁽²⁵⁷⁾
 صَارَ فِيهِ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ⁽²⁵⁸⁾

مجازة المؤذنين بالهلاك

- وَتَعَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا⁽²⁵⁹⁾
 وَهَتَّهَتْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ
 فَأَيُّدِ الْأَمَّارِ وَالنَّهَّاءِ⁽²⁶⁰⁾
 وَتَعَاطَوْا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْمِ
 لٍ وَنُطْقِ الْأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءِ⁽²⁶¹⁾
 كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ السُّو
 ءُ سِفَاهًا وَالْمِلَّةُ الْعُوجَاءِ⁽²⁶²⁾
 فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ
 مَ وَمَا سَاقَ لِلْبَيْزِيِّ الْبِدَاءِ⁽²⁶³⁾

(258) تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذيتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فحوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة.

(259) أي نحى أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفروهم عن الإذابة فلم ينتهوا فهلك المار بالإذابة والنهاء عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(260) وتناول الكفار القول المنكر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأختساء الأسافل الفحش.

(261) أفاد أن كل قدرة يزيد بها الخلق السوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضاً سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

(262-263) أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الإذابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انقلب السب سبباً بإبدال الباء ميماً فأهلكهم السب كما يهلك السم.

- وَوَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سَمًّا وَمَمًّا يَدْرِي إِذِ الْمَرْءُ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ (264)
 كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهَوِيَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّيَاءُ (265)
 أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرُضُهَا يَجْلِبُ الْحَتَّى فِإِنَّهَا وَمَالَهُ إِنْكَاءُ (266)

عاقبة قومه المناوين له

- صَرَغَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالِدَهَاءُ (267)
 فَاتَّتُهُمْ حَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَحْتِ تَالٌ وَلِلْحَيْلِ فِي الْوَعَى خِيَلَاءُ (268)
 فَصَدَّتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَكُوفِي الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِيطَاءُ (269)
 وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَفْعًا ظَنَّ أَنَّ الْعُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ (270)
 أَحْحَمَتْ عِنْدَهَا الْحُجُونَ عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ (271)
 وَذَهَبَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِيوتًا مُلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ (272)

(264- 265) وتسبب الإيذاء أن البذي تسببت له بذاة فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيه بالملكة الزباء التي أدرکها عمرو فمضت خاتماً فيه السم فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيهه آخر لعاقبة البذي اللسان فشيبهه بالنحل التي لسعها يجلب لها قوتها أي موتها والحال أن لسعها ليست له نكاية.

(266) صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهم ولم يجدهم مكرهم ولا دهاءهم الخبيث.

(267) فبسبب مكرهم أتهمهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلم خيل يتبختر بما شجعان المسلمين فعاد مكرهم وبالاً عليهم.

(268) المعنى قوي طعن القنا - وهي الرماح - في أبدانهم تكراراً وإعادةً.

(269) أثار ت حيل المسلمين التي قصدت مكة نفعاً أي غباراً حتى أظلم الجؤ وهذا إشارة إلى غزوة فتح مكة ووقعت في رمضان سنة 8

(270) أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون - وهو الجبل المطل على مقبرة مكة وهي المعلاة- ومنها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثانية من كذا - بضم الكاف- من أسفل مكة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك، ومعنى أحجمت الحجون: أن أهلها كفوا عن القتال، وأما كذا فإن أهلها قاتلوا قليلاً وإلى ذلك أشار قوله: "وأكدى: عند إعطائه القليل كداء" ومعنى: أكدى: قطع.

(271) أي أصابت خيل الفتح أوجهاً من الناس قاتلت، وبيوتاً قُت أهلها منها.

(272- 274) لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دعتة قريش وهو احلم البرية وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن العقوبة، وناشده بالقرى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وآله



(273)	فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْوَ
(274)	نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ
(275)	فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنْعَضْ
(276)	وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلِ
(277)	وَسَوَاءٍ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ
(278)	وَلَوْ أَنَّ اتَّقَامَهُ لَهُوَى النَّفْسِ
(279)	قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى
(280)	فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْ
	وُجُوبَاتُ الْحَلِيمِ وَالْإِعْضَاءِ
	قَطَعَتْهَا السِّبْرَاتُ وَالشَّحْنَاءِ
	عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءِ
	تَسَاوَى التَّقْرِيْبُ وَالْإِقْصَاءِ
	مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامِ وَالْإِطْرَاءِ
	سِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءِ
	اللَّهِ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءِ
	ضَحُّ الْإِيمَانِ حَاوَاهُ الْإِنَاءِ

وسلم، وتلك القرابة التي قطعها الترات - أي عدم إدراك الثأر- والشحناء: أي التباغض والتحاسد، وبسبب تلك المناشدة والسؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر، ولم يَكْدِرْ عفوهم ما مضى منهم من مبالغة في الإيذاء.

(275-276) أفاد أنه إذا كان القطع والوصل لله أن يتساوى عنده تقرب الأقارب والأباعد وإقصاء الأقارب والأباعد ويتساوى عنده اللوم والمدح.

(278-281) أبانت جملة هذه الأبيات ما اتصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن أفعاله ليست معللة بمحوى النفس وإنما هي كلها لله تعالى ولذلك لما ناشدته قريش القرى عفا عنها، ولو كانت أفعاله لهوى النفس لانتقم منهم أشد انتقام ولقطعهم وحفاهم ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضى كما أن الإناء الملىء طيباً لا يضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب، ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلاً عن الذين نالهم ثم أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه أمياً - والأُمى نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ- أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقولهم، فهو اعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ غَلَاةٍ يُكْرَجُ مَا لَتْ بِهِ التُّدْمَاءُ⁽²⁸¹⁾
 النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَعْلَمُ مِنْ أَسَدٍ نَدَّ عَنْهُ الرُّوَاهُ وَالْحُكَمَاءُ⁽²⁸²⁾

(282-296) أفاد في الآيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولاً المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة. وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووفت بوعدها، ثم استفهم قائلاً: أيليق بي ترك الزيارة؟ فلا انضم إلى الناقة بركوبها لتطوى الغلوات بينه وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الطي بالوف البطحاء- أي بمذة الناقة التي ألفت بطحاء مكة، ولإيلاف هذه الناقة مكة صارت يزعمها النيل، والحال أنها قد شفت جوفها الإطماء وهو العطش، وهي من حبها لمكة أنكرت مصر ونفرت مما يلوح لعينها من بناء أو فضاء، ثم شرع في ذكر المنازل مستهلاً بأن البركة أفضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشيخ الإمام النبهاني أي حشنت مضاجعها والذي عليه كل الشراح: فأفضت بركتها أي سالت

(1) والبركة أول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر.

(2) والبويب - بالتصغير - موضع بعد البركة.

(3) الخضراء: قرية بالمخيل المسمى بعجروود وبجانب القرية بركة ماء تملأ من بئر.

(4) القباب التي تلي المنازل السابقة أي وادي القباب.

(5) بئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الذي قبلها، ولهذا قال: "والركب قائلون رواء" وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة.

(6) ومن المنازل: أيلة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة المهبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، وقد ذكر المسورون: أن القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.

(7) جِئَلٌ: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة: دَوَّارِ جِئَلٍ.

(8) قُرٌّ: بضم القاف والراء المشددة - قال ابن حجر الهيثمي شارح الحمزية: ليس هذا الاسم مشهوراً عند الناس اليوم، وابن حجر من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ) وأراد البوصيري بقوله: "حلفها" أي الناقة.

(9) المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنه أراد بما المخيل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الحمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبي عليه الصلاة والسلام.

(10) عيون الأقباب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.

(11) النَّبْكَ: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيثمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمى بنبط.

(12) الكنفافة: وصفها الناظم بالعوجاء أي أنها منحرفة عن جادة الطريق وقال الجمل: تعرف في عصره بسلمى وكنفافة.

(13) الحوراء: حفائر على ساحل البحر، ونسب الناظم إلى الحوراء محادثة الناقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.

(14) ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره - يعرف بينع كينصر. وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وأخرها في الإياب.

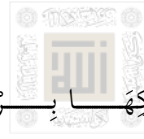
(15) الدهنوان: هو الآن محل واحد يسمى بالدهناء، وهي موضع أمام ينبع.

(16) بدر: وقال الناظم: (لاح بالدهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعز

- وَعَدْتَنِي اَزْدِيَارُهُ الْعَامَ وَجَنَّا ۗ وَمَتَّعْتَنِي بِوَعْدِهَا الْوَحْنَاءِ (283)
- أَفْلا أَنْطَوِي لَهَا فِي اقْتِضَائِ— ه لِتَطْوِي مَا بَيْنَنَا الْأَفْلَاءِ (284)
- بِأَلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْبِلُهَا النَّيْبِ— ل وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِضْمَاءِ (285)
- أَنْكَرْتَ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفِرُ مَا لَأَ— ح بِنَاءِ لِعَيْنَيْهَا أَوْ خَلَاءِ (286)

الله بما الإسلام.

- (17) وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطائف المذكورة في الآية.
- (18) الصفراء: قرية معروفة.
- (19) بزوة: مكان يسمى بقاع البزوي عند الحاج.
- (20) رابغ: هو واد بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة قرب البحر.
- (21) الجحفة: محل بعد رابغ، وقول الناظم (وَنَضَّتْ بَزْوُهُ - البيت) أي أن هذه الأماكن: بزوة ورابغ والجحفة خلعت عن الناقة الإعياء لفرحها بقرب الوصول.
- (22) بئر علي: قال الجمل: هو المشهور الآن ببئر التفلة.
- (23) عقاب السويق: قال ابن حجر قريب من المكان المتقدم.
- (24) الخلاء: قال ابن حجر: اشتهر في عصره بجليص وفيه عين ماء واسعة وبركة، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت الناقة الخلاء لأنها قريبة من مكة.
- (25) بئر عسفان: بضم العين كعثمان على مرحلتين من مكة.
- (26) بطن مَرٍ: ويسمى: مَر الظهران قريب من مكة.
- (27) الزاهر: مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم.
- (28) المساجد: المحل المعروف بمسجد عائشة. ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكة بقوله:
- هذه عدة المنازل لاما غُدُّ فيه السماك والعَوَاءُ
- أي هذه المنازل بين مصر ومكة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر، وكل من هذه المنازل ثمانية وعشرون، ومن منازل القمر: السماك الأعزل، والعواء.



- فَأَقْضَتْ عَلَى مُبَارِكْهَا بِرُكْبَتَيْهَا قَالَتُورِيْبُ فَالْحَضْرَاءُ (287)
- فَالْقَبَابُ الَّتِي تَلِيهَا فَيُؤْمَرُ (288)
- وَعَدَتْ أَيْلَةً وَحِمْلًا وَفُرُ (289)
- فَعِيُونُ الْأَقْصَابِ يَتْبَعُهَا النَّبِيُّ (290)
- حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيُنْبِئُو (291)
- لَاخٍ بِالذَّهْنَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَعْدُ (292)
- وَنَضَّتْ بِزَوْءٍ فَرَابِعُ فَالْجُحْدُ (293)
- وَأَرْزَتْهَا الْخُلَاصَ بِئْرُ عَلِيٍّ (294)
- فَهِيَ مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ مِنْ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ (295)
- قَرَّبَ الرَّاهِرُ الْمَسَاجِدَ مِنْهَا (296)
- هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لِأَمَّا (297)
- النَّخْلِ وَالرُّكْبُ قَائِلُونَ رِوَاءُ (288)
- خَلْفَهَا فَالْمَعَارِزُ الْفَيْحَاءُ (289)
- كَ وَتَنَلُّو كَفَافَةَ الْعُوجَاءُ (290)
- عُ فَرَقَّ الْيُنْبُوعُ وَالْحَوْرَاءُ (291)
- دَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ (292)
- فَمَهْ عَنْهَا مَا حَاكَهُ الْإِنْضَاءُ (293)
- فَعَقَّابُ السُّوَيْقِ فَالْخُلَاصَاءُ (294)
- بَطْنِ مَرِّ ظَمَانَةَ حُمَصَاءُ (295)
- بِخَطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ (296)
- عُدَّ فِيهِ الْبَيْمَاطُ وَالْعَوَاءُ (297)

(297-302) شبه في البيت الأول ناقته التي ركبها في مكة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسماء.

وأرجل في هذا البيت يصح بناؤه للفاعل كما يصح بناؤه للناصب، ولما ذكر مكة في البيت الأول، ذكر في البيت الثاني أن مكة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي وماوى الرسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثم ذكر أفعال الحج من الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار، والإهداء: وهو سوق الهدى إلى مكة وذبحه بها. ثم قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إلي ولم يغيرها البلاء أي القدم، وذكر أيضاً من الأشياء التي شرف الله بها مكة أنها حرم آمن، وهي محترمة بحرمته الله من يوم خلق السموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأن بما البيت الحرام الكعبة، وأن بما المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أنزل لإبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثم ذكر أن المقام بضم الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار. وذكر أنه أدى المناسك بما، والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة أي متعبدات الحج والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الداء إلا في فعلها.

التقل بين مكة وبقيّة المشاعر

- فَكَأَنِّي بِهَا أَرْجُلُ مِنْ مَـ
 كَّةً تَمْتَسُّ سَمَاوُهَا الْبَيْدَاءُ⁽²⁹⁸⁾
- مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ
 الرُّسُلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ⁽²⁹⁹⁾
- حَيْثُ فَارِضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ
 وَالْحَلْقُ وَرَمْيُ الْجِمَارِ وَالْإِهْدَاءُ⁽³⁰⁰⁾
- حَبِّدَا حَبِّدَا مَعَاهِدُ مِنْهَا
 لَمْ يُعَيِّرْ أَيَّاتِهَا الْبِلَاءُ⁽³⁰¹⁾
- حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ
 وَمَقَامٌ فِيهِ الْمَقَامُ تَلَاءُ⁽³⁰²⁾
- فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْـ
 مَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ⁽³⁰³⁾

السّير للزيارة المشرفة

- وَرَمَيْنَا بِهَا الْفَجَاجَ إِلَى طَيْـ
 بَةٍ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ⁽³⁰⁴⁾
- فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ
 بٍ وَنَعِمَ الْحَبِيْبَةُ الْكَوْمَاءُ⁽³⁰⁵⁾
- فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيْبِ يَعْضُ
 الطَّرْفَ مِنْهَا الضَّرِيَاءُ وَاللَّالَاءُ⁽³⁰⁶⁾

(303-312) انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة، فذكر أنه رمى بقائه التي ألقت البطحاء الفجاج وهي جمع فج وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمى به. وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة، ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم بغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق. وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حينما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزوارها. وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكان ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها. فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء - بكسر الكاف - أي ريح البخور. وحين وصل إلى قباء - بضم القاف - شاهد الزائرون نوراً باهراً وأزهاراً نضيرة حين رأوا القباب التي هناك، واعتبرته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمه فهو سيل، وفر اصطباره فهو كالجفاء أي الزيد وبسبب ما يعتري من الحال يرى المحاطب السائرين جادين في السير لشدة الشوق إلى المدينة المنورة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم وللزائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ مَا قَا بَلَّتِ الْعَبِيْرُ رَوْضَةً غَنَاءُ⁽³⁰⁷⁾
 وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفِيْهَا مُمْلَاءَةٌ حَمْرَاءُ⁽³⁰⁸⁾
 وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْ مِسْكِ فِيهَا الْجُثُوْبُ وَالْجُرِيَاءُ⁽³⁰⁹⁾
 فَإِذَا شَمَمْتَ أَوْ شَمَمْتَ رَبَاهَا لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ⁽³¹⁰⁾
 أَيُّ نُورٍ وَأَيُّ نُورٍ شَاهِدُنَا يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقِيَابَ قُبَاءُ⁽³¹¹⁾
 فَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اضْطِبَارِي قَدْ مُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جَفَاءُ⁽³¹²⁾
 فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ قِي إِلَى طَيِّبَةٍ هُمْ ضَوْضَاءُ⁽³¹³⁾

ما يعترى القادمين من عظيم المهابة

- فَكَأَنَّ الزُّوَارَ مَا مَسَّتِ الْبَاءُ سَاءٌ مِنْهُمْ خَلْقاً وَلَا الضَّرَاءُ⁽³¹⁴⁾
 كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ وَدُعَاءٌ وَرَعْبَةٌ وَابْتِعَاءُ⁽³¹⁵⁾

(313-319) كما يرى المخاطب أن الزائرين للمدينة المنورة رغم شدة السفر كأنهم ما مستهم البأساء ولا الضراء. وأتى بعد ذلك بوصف ما يعترى القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب. فلنفوس القادمين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ابتهاج أي تضرع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورجبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النفوس زفير من شدة الخشية وعظيم المهابة ولشدة ذلك الزفير كأنه زقاء، ومن شدة الشوق أسبلت العيون الدموع الغزيرة لهيبة المثل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، ومدّ البكاء سيل من الدموع وحث النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء. وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت مجسوم القادمين من كثرة الرُحضاء، وهو العرق أثر الحمى - كأنه غسلها، ولعظمة الموقف تغيرت الوجوه حياء كأنما ألبستها الحبراء ألوانها وجلال الموقف تحاطلت الدموع بسبب الأسباب الباعنة على البكاء، وقد شبه هذه الأسباب بالسحابة الدائمة السح.

- وَرَفِيرٌ تَنْظُرُ مِنْهُ صُدُوراً بَعَثَا ذُهُنَ رُؤْيَاءِ⁽³¹⁶⁾
 وَبُكَاءٍ يُعْرِيه بِالْعَيْنِ مَدٌّ
 وَنَحِيبٌ يَحْتُوهُ اسْتِعْلَاءِ⁽³¹⁷⁾
 وَجُسُومٌ كَأَمَّا رَحَضَتْهَا
 مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءِ⁽³¹⁸⁾
 وَوُجُوهٌ كَأَمَّا أَلْبَسَتْهَا
 مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرْيَاءِ⁽³¹⁹⁾
 وَذُمُوعٌ كَأَمَّا أَرْسَلَتْهَا
 مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطَفَاءِ⁽³²⁰⁾

المواجهة الشريفة

- فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحْطُ
 الْوُزُرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحُوجَاءِ⁽³²¹⁾
 وَفَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ
 اللَّهُ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءِ⁽³²²⁾
 وَذَهَلْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَكَمْ أَدْ
 هَلَّ صَبَاباً مِنَ الْحَيْبِ لِقَاءِ⁽³²³⁾
 وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى
 لَا كَلَامَ مِّنَّا وَلَا إِيمَاءِ⁽³²⁴⁾

(320-325) ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشريفة فابتدأ بأنه حطَّ رحله في المدينة المنورة حيث يحطُّ القاصد ذنوبه ويرفع سائلاً حاجته ثم وصف موقفه في المواجهة النبوية بأنه أقرأ السلام أكرم الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم حيث إن إقراء السلام عند قبره يُسمع كما جاء في الحديث: "ما من أحد يسلم عند قبري إلا رد الله تعالى علي روعي حتى أزد عليه السلام" (روى هذا الحديث أبو داود = في جامعهم والسيوطي في الجامع الصغير، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن رده عليه الصلاة والسلام إذا كان المسلم بالقرب لأن الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري، بل لفظه: ما من أحد يسلم عليّ)، ولما استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشريفة، وهذا شأن الصب عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثم لما عزم على القبول من الزيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة، ولجسمه العطف إليها.

وختتم وصفه لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سمح لنفسه بفراق ما يجب من الوقوف في المواجهة الشريفة وإن كانت نفسه تخيلة بما لكن قد يسمح البخيل عند الضرورة، والضرورة الداعية إلى الرجوع القيام بالشؤون الملقاة على الإنسان.



وَرَجَعْنَا وَلِقُوبِ الْبِقَاءِ ت إِلَيْهِ وَالْحُسُومِ أَنْشَاءِ (325)
 وَتَمَحَّنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسُّ مَحْ عِنْدَ الصُّرُورَةِ الْبُحْلَاءِ (326)

استعطافه صلى الله عليه وآله وسلم

(327)	مِي عَلَيهِ مَدْحٌ لَهُ وَتَنَاءٌ	يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضِمَّنْ إِفْسَا
(328)	هُ بِإِلَّا كَاتِبٍ هُأَ إِمْلَاءٌ	بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْكَ مِنَ اللِّ
(329)	فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءٌ	وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا
(330)	هُ وَكَلَّتَاهُمَا مَعَا رَمْدَاءٌ	وَعَلَيَّ لَمَّا تَفَلَّتْ بِعَيْنَيْي
(331)	فِي عَزَاةٍ هُأَ الْعُقَابُ لِيَوَاءٌ	فَعَدَا نَاطِرًا بِعَيْنَيْ عُقَابٍ

(326-330) لما تمم مقصد الزيارة المشرفة شرع في مقصد آخر وهو التضرع والابتهاال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبدأ ذلك بمناداته عليه الصلاة والسلام بكنيته وهو: أبو القاسم ذكراً إن أقساماته الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والثناء عليه، وجواب الاقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتاً وهو قوله (380- الأمان الأمان إن فؤادي.. البيت).

واستعطاف الناظم ليفوز في الدنيا والآخرة وليأمن من المحن. أقسم أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أن هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له، وأقسم ثانياً بمسير الصبأ بنصره صلى الله عليه وآله وسلم والصبأ هي الريح التي مهبها من مطلع الشمس ونصر بها صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وأقسم ثالثاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنه لما كان الرمد بعينه تفل فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعداتا صحيحتين وأصبح نظره كمنظر العقاب وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية التي تسمى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة.

وَيَرْجُو كَاتِبَيْنِ طَيْبُهُمَا مِنْكَ الَّذِي أودَعْتَهُمَا الرَّهْرَاءَ⁽³³²⁾
كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا أ
وَتَ مِنَ الْخَطِّ نُقِطَتَيْهَا الْيَاءَ⁽³³³⁾
مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِيَنِ الطَّ
فَ مُصَابِيهِمَا وَلَا كَرْبَلَاءَ⁽³³⁴⁾

(331-345) إقسامه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالحسن والحسين، وعبر عنهما بالريحانتين اقتباساً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هما ريحانتي من الدنيا" رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أودع في فاطمة الزهراء وأفاد بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضمها لمحبة إياها كما تضم الياء نقطتيهما. بين أنّ الريحانتين شهدان ليس ينسبه في مصابحهما الطَّفُّ ولا كربلاء وهما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنه أنه مات مسموماً سنة خمسين سنة يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأما شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة. لم يراع في الريحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهما حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرؤسون ولا الرؤساء وخانوا العهد. ذكر أن المكرّة بالشهيدتين أبدلوا الحمية في نصر القرى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قرابته بالبعض وعدم النصرة وخالفوا قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرٌ إلا المودة في القربى" (الشورى: آية 23)، وشبه المكرّة بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باليرابيع في المكر، والنافقاء: إحدى حجرتي البروج التي يخفيها وذكر أن قلوب هؤلاء المكرّة قست على قرابته صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكت الأرض والسما فقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسينين الشهيدتين، والبكاء قليل في عظيم المصاب. ذكر الناظم أنه ازداد كرهه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادي أهل بيت النبي وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبراً بأن فؤاده ليس ينسبه مصابهم حصول الشدائد. واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك. ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فزغوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعداء من القتل بالسيف والرمح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالرق الذي حل وكأوه، والوكاء ما يشد به رأس الرق.

وحاطب آل البيت بأنهم طابوا أصلاً ونفوساً وأفعالاً وأقوالاً وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعدد المحاسن بعد الموت. وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي (54هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينافح عنه أي يدافع. وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد بعدها بعضهم من الصحابييات كانت من أشعر الناس وتوفيت سنة (24هـ). وحتم توجهه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيهم: بأنهم سادوا الناس بالتقى بعد النسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فإنما سودتهم البيضاء أي الفضة والصفراء أي الذهب.



- مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو (335) سَ وَقَدْ حَانَ عَنْكَ الرَّؤْسَاءُ
- أَبْدَلُوا الْوَدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي الْمَرْ (336) بَى وَأَبْدَتْ ضَبَابَهَا النَّافِقَاءُ
- وَقَسَّتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ (337) بَكَتِ الْأَرْضُ فُقْدَهُمْ وَالسَّمَاءُ
- فَأَبَكِهِمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنَّ قَلِيلاً (338) فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ
- كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكُرْبِي (339) مِنْهُمْ كَرِيلاً وَعَاشُورَاءُ
- آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي (340) لَيْسَ يُسَلِّيهِ عَنْكُمْ التَّأْسَاءُ
- عَيَّرَ أَيُّ فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ (341) هِ وَتَفْوِيضِي الْأُمُورَ بَرَاءُ
- رُبَّ يَوْمٍ بِكَرِيلاًءٍ مُسِيءٍ (342) خَفَقَتْ بَعْضَ وَزْرِهِ الزُّورَاءُ
- وَالْأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ (343) مِنْهُمْ الرِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ
- آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْ (344) مَدْحُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرِّثَاءُ
- أَنَا حَسَّانٌ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحِ (345) تٌ عَلَيْنُكُمْ فَإِنِّي الْخُنْسَاءُ
- سُدُّتُمُ النَّاسَ بِالتَّقَى وَسِوَاكُمْ (346) سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ



الإقسام بالصحابة الكرام

- وَبِأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمْ بَعْدُ
 دَكَ فِينَا الْهُدَاهُ وَالْأَوْصِيَاءُ⁽³⁴⁷⁾
- أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّينِ
 مِنْ وَكُلٍ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ⁽³⁴⁸⁾
- أَغْنِيَاءُ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ
 عُلَمَاءُ أَيَّمَانَةَ أُمَمَرَاءُ⁽³⁴⁹⁾
- زَهْدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عَرَفَ الْمَيِّ
 لُ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ⁽³⁵⁰⁾
- أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكِ
 حَارِثُوهَا أَسْأَلُهَا إِعْلَاءُ⁽³⁵¹⁾

(346-354) أقسم بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بعده هداة في الناس وأوصياء بأمر الدين، فجاهدوا وساسوا الأمة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثم تبعهم التابعون، وكل إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثم وصف الصحابة بأنهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بظواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوهم من علومه صلى الله عليه وآله وسلم، أئمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثم وصف الصحابة الكرام بأنهم زهدوا في الدنيا ما لها وجاهها فما عُرِفَ منهم ميل إلى الدنيا ولا رغبة فيها.

ثم وصف الصحابة بأنهم في الوعى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم، وأسلاب هؤلاء الملوك غالية السعر. وانتقل إلى وصف علمهم الجم بأنهم كلهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأن أفضل الناس بعد الأنبياء: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وخيرهم من ولي الخلافة	وأمرهم في الفضل كالخلافة
يلهم قوم كرام برة	عدتهم ست تمام العشرة
فأهل بدر العظيم الشأن	فأهل أحد فبيعة الرضوان

والصحابة رضوان الله عليهم رضي الله عنهم أي أمنهم من سخطه وأحلهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

وقوله (وجاء قومٌ من بعد قوم) البيت: أي أن الصحابة في إسلامهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال كونهم قوماً بعد قوم والسابقون السابقون أولئك المقربون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النبوة وكلهم سائر على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلوا أصحاب موسى وهم النقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الخواريون.

- كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءٌ (352)
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
- هُ فَأَنِّي يَخْطُطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءً (353)
- جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ بَحْقٍ
- وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاءُوا (354)
- يُؤُونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءُ (355)
- مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارٍ
- سِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءُ (356)
- بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ
- أُرْحِفَ النَّاسُ إِنَّهُ الدَّادَاءُ (357)
- وَالْمَهْدِيِّ يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا
- أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ
- نِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ (358)
- أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَـ
- نُّ وَأَعْطَى جَمًّا وَلَا إِكْدَاءُ (359)
- هُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرَّقَبَاءُ (360)
- وَأَبِي حَفْصٍ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّـ

(355-358) لما أقسم بالصحابة كلهم إجمالاً خصص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي عتابة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما تقتطف منها زهرات شديدة منها: أنه أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين وقد صح اقتداء الناس به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاقتداء به في الصلاة حين مرض صلى الله عليه وآله وسلم مرض الوفاة حتى أنه لما رآه الرسول الكريم يصلي تبسم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السقيفة إذ كان قوله الفصل المبين للحق في أمر الخلافة، وقد سكن اختلاف الناس في أمرها واضطرابها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان اضطرابهم الشديد في الخلافة كالليللة الدأء الشديدة الظلمة. أنقذ وحلص الدين من التلاشي بعدما حصل له من إشرافه على كل كربة فقد ثبت الناس يوم موته صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع الناس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السقيفة كما تقدم وكذلك في حرب أهل الردة. انفق ماله كله في رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه نزل قوله تعالى: "وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى" (البلبل: الآية 17-18) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس أحد من الناس أمرٌ عليّ بنفسه وماله من أبي بكر "الحديث"، وفضائله متنوعة كثيرة ولا من ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13هـ).

(359-362) وثني في إقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعز الله تعالى به الإسلام فإنه حين أسلم أظهر إسلامه لأنه لما أسلم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: فقيم الإخفاء فخرج المسلمون في صفين: عمر في أحدهما وحزرة في الآخر حتى دخل المسلمون المسجد فكبرت قریش لذلك فقد كان إسلامه فتحاً، وهجرته

- وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ - وَتَبْعُدُ الْقُرَبَاءُ (361)
- عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفُصْلُ - لَمْ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ (362)
- فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَازُوا - قَاءَ فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاةِ أَنْبِرَاءُ (363)
- وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَا - لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ (364)
- حَفَرَ الْبُئْرَ جَهَّزَ الْحَيْشَ أَهْدَى - اهُدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّه الْأَعْدَاءُ (365)
- وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ - يَدُنْ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ (366)

نصراً وإمامته رحمة، فبإسلامه أنجز الأعداء المترقبون بالإسلام. وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأبعاد إليه لأجل رضا الله تعالى وتبعد الثُّرَيَاءُ لأجل ذلك. ثم سماه باسمه فهو عمر بن الخطاب الذي قوله الفصل وهو الحق وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السوي فقد كان عمر أصلب الناس في دين الله. لما كان فاروقاً قرَّ منه الشيطان وقد أطفأ نور النار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يوماً. طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبه سنة (23هـ).

(363-367) وذكر أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان بن عفان الذي أسدى أيادي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت لليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها. وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرساً وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنة مرتين بخبر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وفي غزوة الحديبية نحر هديبه بمكة دون غيره فأنهم نَحَرُوا هَدْيِهِم بِالْحَدِيبَةِ لما صد الأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الحرم وكان ذلك سنة ست من الهجرة.

ولما امسكوا عثمان عندهم لما أرسله الرسول ليكلّم أشرف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرسول الكريم من دخول مكة والطواف.

ويسب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من العداء، ويسب تأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم الطواف إذ لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخوزي حين بيعة الرضوان بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى ويا لها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركاً للعبادة وهي الطواف فإنه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيداً الأديب.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنه رابع أربعة في الإسلام وروجه النبي عليه الصلاة والسلام بانتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون. وقتل رحمه الله محصوراً بداره سنة (35هـ).

- (367) فَجَزَّزْتُهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَانِي يَسْتَدْمِرُنَّ نَيْبَهُ بَيْضَاءُ
- (368) أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّوَكُّلِ حَبَّذَا الْأَدْبَاءُ
- (369) وَعَلِيٌّ صِنُّ النَّبِيِّ وَمَنْ دِيَارُ فُؤَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ
- (370) وَوَزِيرِ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي تَسْعَدُ الْأَهْلِي تَسْعَدُ الْوُزَرَاءُ
- (371) لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغَطَاءِ يَقِينًا بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غَطَاءُ
- (372) وَيَبَاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّرْتِيبِ فِينَا تَفْضِيلُهُمْ وَالْوَلَاءُ

(368-370) وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أقسم عليك بعلي صنو النبي أي أخيه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخى بينه وبينه وقال له: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" رواه الترمذي، والذي هو اعتقاد فؤادي حبه وموالاته ومناصرتيه، وذكر ذلك الناظم رداً على الخوارج الذين سبُّوه واستقصوه.

وهو وزير ابن عمه أي وزيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثبت له الوزارة استفادةً من أمور كثيرة تدل على ذلك منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ومؤاخاة النبي له، ومناحه في فراشه لما عزم المشركون قتله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله: (ومن الأهل تسعد الوزراء) تذييل أفاد به ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم به علماً مثل إرساله قاضياً في اليمن. وأشار بقوله: (لم يزدك كشف الغطاء يقينا) إلى قول علي كرم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثم قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه. وقتله للعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40 هـ).

(371-379) وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنة على حسب مراتبهم التي بينها صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً وترتيباً. ابتداءً بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التميمي ومماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطايه كالسحاب المرسله وتصديق في يوم مائة ألف، ولم يجد ثوباً يذهب به إلى المسجد وأشار الناظم إلى موقفه بأحد، فإنه بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووفاه وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36 هـ) يوم الجمل وهو أحد السنة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنه، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفيّة، وأحد السنة من أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36 هـ).

وأشار الناظم إلى أنه والد القرم أي السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73 هـ).

والصفيين تنحية صفي وهو الحبيب المصافي والتويمان الولدان في بطن واحد، وقصد الناظم أن الفضل توأم بينهما وهما سعد وسعيد.



أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق أحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام وشهد المشاهد كلها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالقيظ سنة (55هـ)، ودفن بالقيظ وهو آخر المهاجرين موتاً.

وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه، توفي سنة (50هـ)، ودفن بالقيظ، وهما إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآب بن عوف رضي الله عنه، وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظاً في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه، ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32هـ)، في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولاه أبو بكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة. توفي سنة (18هـ) شهيداً بالطاعون في طاعون عمواس، وأقسم عليه بعمه أي اخوي أبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأحكما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إتاؤه بوزن كتاب، أي أتاهما منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3هـ)، وهو أسد الله وكان شجاعاً لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام، وتوفي العباس سنة (32هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالقيظ، وصح حديث "العباس مبي وأنا منه" وبارك في ذريته فقد ولوا الخلافة طوال مآت السنين وقد استسقى به عمر الغيث، وأقسم بأم السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنهما حين تزوجها علي (15 سنة) وأشهرها، قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيدة نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة إحدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيتها وهم الحسن والحسين، ومحسن، وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: "ومن حوته العباء" أي ما اشتمل عليه الكساء وهم علي وفاطمة وبناتهم.

وأقسم عليه أخيراً بأزواجه رضي الله عنهن جميعاً اللواتي تشرفن ببناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنّ وصانن ذلك، وهن إحدى عشرة متفق عليهن، هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية.

أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زعنة توفيت سنة (54 هـ)، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57 هـ) وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45هـ)، وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (57هـ)، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ)، وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20 هـ)، وزينب خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر، وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ)، وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ)، وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).



- طَلَحَةَ الْحَبِيرِ الْمُرْتَضِيهِ زَفِيحًا وَأَحْدَاثًا يَوْمَ فَارَتْ الرُّفْقَاءُ (373)
- وَحَوَارِيَّكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقُرِّ وَالصَّافِيَيْنِ تَوَامِ الْفَضْلِ سَعِدِ وَابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنَتْ نَفْسُهُ وَالْمَكِّيَّ أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعُدُّ وَيَعْمَمُكَ نَسِيرِي فَلَاكِ الْمَجْمُوعِ وَبِأُمَّ السَّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ وَبِأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشْرَفْنَ
- مِ الْذِي أَجْبَثَ بِهِ أَسْمَاءُ (374)
- وَسَعِيدِ إِنْ عُذَّتِ الْأَصْفِيَاءُ (375)
- يَا بِنْدَلِ يُمْدُدُهُ إِثْرَاءُ (376)
- زِي إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ الْأَمْنَاءُ (377)
- سِدِ وَكُلِّ آتَاهُ مِنْكَ إِتَاءُ (378)
- وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوَّنَتْهُ الْعَبَاءُ (379)
- نَ بِأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ (380)

طلب الأمان للحصول على النجاة

- الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ (381)

(380-420) هذا مبدأ جواب الإقسامات السابقة التي ابتدأها بقوله:

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا مي عليه مدح له وثناء

إلى ما قبل البيت هذا:

وبأزواجك اللواتي تشرفن بأن صانحن منك بناء

وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أئنا الأمان أو أئنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرت في الأبيات السابقة أن تبليني الأمان من ذنوب لأن قوله: (من ذنوب أتيتها هواء) أي فارغ لتعليل.

ويعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمسكاً بالحلل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك، جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمسه سوء فلذلك قال الناظم: (وأبي الله أن يمسي السوء) البيت، إن معشر المخبيين وخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونهم ويأملون فيه للأمر العظيمة التي أضعفها في = القلوب رمضاء: أي نار تنقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: (وأئنا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهزلب فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها

الغنى ركائب أجهدها طول السير اغتناماً للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم، واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يديك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه بمراده قائلاً: (يا من هو المغيث للمكروبين) والغيث والمطر اللقاحطين إذا صبَّيَّ على الخلق الجذب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو: (يا رحيمًا... الخ) يتضمن غاية الاستعطاف طلباً للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "يا شفيعاً في المذنبين في الوقت الشديد الذي فيه البرءاء، يشفقون من مناقشة الحساب لأن الخوف يعم حتى من لا ذنب له".

وسأل الناظم الجود للعاصي بالشفاعة من كامل الرحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضع أنه العاصي، وإنما تنكر ولم يصرح باسمه استحياء.

تداركه أي العاصي بحق حرمته ما دام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكني به بأنه آخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفته في وجوه الخير عما قدمه الصالحون من الأعمال الصالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات.

وبأنه في كل يوم وليلى معاصيه مرتفعت مع ملائكة الليل والنهار وأنفاسه صعداء أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطعام والشراب وذلك من الأسباب المبطنة للسير المعنوي والقلبي لأن البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدار دار الدنيا التي فيها البطان - جمع بطين - بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين.

وبأنه بكى ذنبه مع ييس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك المساواة القلبية مكاء أي كالصغير وبأن ذلك العاصي صار يعتبر القضاء ويلومه ولا عذر لعاصي ينجح بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسببات، وإن كان كل شيء بقضاء الله تعالى فلا بد من رعاية المقامين.

وقال الإمام الغزالي: إن من جملة القضاء الدعاء لرد البلاء.

وهذا العاصي أو ثقته ديون بسبب ذنوب متراكمة عليه فحبسته في الدنيا كما أن ديون الآخرة بسبب التفريط في حقوق الله أثقلته وأوثقته.

فما له حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التخلص إلا مثل حيلة الموثق أي الأسير، إما التوسل إلى الله تعالى أو الدعاء إليه.

وحال العاصي أنه راجع لله تعالى مؤمل منه أن تصير أعمال السوء أي السيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راجع كذلك أن تصير سيئاته حسناً، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خلأً وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيئاً أصبح حسناً، يا حبيب الله كل ما تهم به يتحول من صفة إلى أخرى يتعجب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفاً.

ثم شبه إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذباً فراتاً.

وتوجه الناظم من حاله التي حرت له الذنوب قائلاً: (أه) إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا أمل بحسن ظني توبة نصوحاً والحال أن في القلب نفاقاً وفي اللسان رياءً ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها.

وكذلك حالي تجملني أتعجب من أي أتوب لأن جسمي في اعوجاج وأخناص من كبر سني لأن المرء على ما جُلِّب عليه فذكر أنه إنما أحر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي احتلظ سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع أثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضاً واسعة.

وبسبب اختلاف الحالين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون لإدلاجهم أي سيرهم ليلاً كئني بذلك عن سبقهم في الطاعات ويكفي المتخلف



قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحُبِّ لِي الَّذِي اسْتَمْسَكَتُ بِهِ الشُّفَعَاءُ⁽³⁸²⁾
 وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّ نِيَّ السُّوِ
 ءُ بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ التَّجَاءُ⁽³⁸³⁾
 قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبَى
 رَدُّهَا فِي فُؤَادِنَا رَمْضَاءُ⁽³⁸⁴⁾
 وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فُقْرِ
 حَمَلْتَنَا إِلَى الْعِنَاءِ أَنْضَاءُ⁽³⁸⁵⁾
 وَأَنْطَوْتُ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ
 مَا هَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ أَنْطَوَاءُ⁽³⁸⁶⁾
 فَأَغِيثَا يَا مَنْ هُوَ الْعَوْثُ وَالْعَيْ
 ثُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى الْوَلَّوَاءُ⁽³⁸⁷⁾
 وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفْرَجُ الْعُ
 مَّةُ عَنَّا وَتُكْشَفُ الْحَوْبَاءُ⁽³⁸⁸⁾
 يَا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا
 ذَهَلْتُ عَنْ أبنَائِهَا الرَّحْمَاءُ⁽³⁸⁹⁾

عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

وإن رحلة المتأخر عن الصالحين من شهواته إلى اللحاق بهم يضعفه عنها الصيف والشتاء فإذا كان الصيف ينوي تأخيرها إلى الشتاء وكذلك العكس.

ثم يقول: وما أوجب إبطيني عن رحلة اللحاق بالصالحين أن وجهي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، والحال أنه قد صعب عليّ اتقاء حر جهنم لأني متلبس بما يؤدي إلى جهنم إلا أن يتعمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعاً مما جنيت فحياتي مكدره إذ يومي شديد وليتي درعاء مظلمة. ولكن خفف أمر هذه الضائقة تذكر رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمام وجهي أين توجهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع ما جنيت أقام الرجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادها.

ووجد من نفسه صاحباً له والمراد يا نفسي لا تيأس من رحمة الله وإن ضعفت عن الطاعة وانفردت بما الأقوياء.

وعلل رجاء نفسه في الرحمة بأن الله الغفور الرحيم رحمة وأحق الناس بما الضعفاء.

وأبرز رحمة الله بالضغفاء بصورة لطيفة وهي أن العرجاء من الغنم حين يكون الرجوع تسبق وكذلك الضغفاء بسبب رحمة الله.

ومن تعلق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطائع أقرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.

وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملاً صالحاً خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطاعة لأنه لا ينظر إلى

نفسه قوية والفوز بسبب ذلك وذلك مما يضعف ثواب الطائع أو يُجَبط عمله إذا كان قوياً.

وحاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.



- يَا شَفِيعاً فِي الْمُنْذَرِينَ إِذَا أَشْرَقَ
جُدُ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا
(390) فَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ الْبُرْءُ
وَتَدَارَكَهُ بِالْعِنَايَةِ مَاذَا
صِي وَلَكِنْ تَنْكِيرِي اسْتِحْيَاءُ
أَحْرَزْتُهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا
(391) مَ لَهُ بِالذِّمَامِ مِنْكَ ذِمَاءُ
قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ
وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعَدَاءُ
(392) رَرِ بِدَارٍ بِهَا الْبِطَانُ بِطَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتُ
(393) نَهَتِ الدَّمَعَ فَأَلْبِكَاءُ مُكَاءُ
أَلْفَ الْبِطْنَةِ الْمُبْطِنَةَ السَّيِّئِ
(394) رَ لِعَاصٍ فِيَمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ
فَبَكَى ذَنْبَهُ بِمَسْوُوءَةِ قَلْبٍ
(395) شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْعُرْمَاءُ
وَعَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءُ وَلَا عُنْدَ
(396) ثَقِيٍّ إِمَّا تَوَسَّلَ أَوْ دَعَاءُ
أَوْثَقْتُهُ مِنَ الذُّنُوبِ ذُيُونُ
(397) ؤُ بَعْفَرَانَ اللَّهِ وَهَيَّ هَبَاءُ
مَالُهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُو
(398) فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ
رَاجِياً أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّو
(399) يَانَ فِيهِ وَتَعَجَّبُ الْبُصْرَاءُ
أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ
(400) حِ فَاضْحَى وَهُوَ الْفَرَاتُ الرَّوَاءُ
كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقَلَّبُ الْأَعْ
(401) أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ
رُبَّ عَيْنٍ تَقَلَّتْ فِي مَاءِهَا الْمَلْ
(402) آهِ مَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُعْنِي

- أَرْجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ نَقِيًّا فِي اللِّسَانِ رِيَاءً (405)
- مِ اعْوِجَاجٍ مِنْ كِبْرِيٍّ وَالْحِنَاءِ (406)
- فَطَلْتُ إِلَّا وَلَمْ تِي سَمَطَاءِ (407)
- مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَأَقْتَفَاءِ (408)
- سُئِلُ وَعِزَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءِ (409)
- وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءِ (410)
- فُ إِذَا مَا نَوَيْتَهَا وَالشِّتَاءِ (411)
- دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَطَى الْإِيْقَاءِ (412)
- فَمَطْرِيْرٌ وَلَيْلِي دَرَعَاءِ (413)
- رُ لِرُجْهِي أَنِّي انْتَحَى تَلْقَاءِ (414)
- بِ وَلِلْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ إِحْفَاءِ (415)
- عَةِ وَاسْتَأْتَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءِ (416)
- النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعْفَاءِ (417)
- دَفْوِي الْعُودِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءِ (418)
- أَنْمَرْتُ تَخْلُهُ وَتَحْلِي عَفَاءِ (419)
- رَّ فَقَدْ يُسْقِطُ التَّمَارَ الْأِيَاءِ (420)
- وَمَتَّى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَسَدِ
- كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْدَ
- وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَنْرَ الْقَوِ
- فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي
- حَمَدَ الْمُدْبِجُونَ غِيبَ سُرَاهِمَ
- رِحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدِي الصَّيِّدَ
- يَتَّقِي حُرًّا وَجْهِي الْحُرَّ وَالْبُرَّ
- ضِفْتُ دَرَعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي
- وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْ
- فَأَلَحَّ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ بِالْقَلْبِ
- صَاحٍ لَا تَأْسُ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ
- إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحْسَنُ
- فَأَبَقَ فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوِ
- لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِعَيْزِكَ هَذَا
- وَأَتِ بِالمُسْتِطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِ



وَيُحِبُّ النَّبِيَّ فَابْنِعِ رَضًا لِلَّهِ فِيهِ رِضَا وَالْحَيَاءُ (421)

الضراعة وإظهار التحسر

يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتِعَانَةً مَلْهُو
فِي أَضْرَّتْ بِحَالِهِ الْخُورَاءُ (422)
يَدَّعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو
ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّعْبَاءُ (423)
أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرِبِي
لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَأَى (424)
لَيْتَ شِعْرِي أَدَاكَ مِنْ عَظْمٍ ذَنْبٍ
أَمْ حُظُوظُ الْمُتَمِيمِينَ حُظَّاءُ (425)
إِنْ يَكُنْ عَظْمٌ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا
كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءٌ قَلْبِي الدَّوَاءُ (426)
كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبِّ
وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلِ جِلَاءُ (427)
هَذِهِ عَلَيَّ وَأَنْتَ طَيِّبِي
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ (428)

(421-427) ثم تضرع إلى الله مستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطر أشد الاضطرار بسبب ضعف همته. ذكر الناظم أنه يدعي الحب لله ولرسوله والحال أنه يأمر بالإثم وتحمي أن يصدق في دعواه محبتهما مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيبي. ثم إن إدعاء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصح لأن طربي واصل للكرى - أي النوم - وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الرء عن واصل بن عطاء لأنه كان أثنع اللسان. أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلمي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتيمين - أي المحبين - متفاوتة؟ إن يكن الذي حجب رؤياك في المنام عظيم ذنبي فقد قل بل عدم الدواء الذي يكون به الشفاء. بعد ذكره التردد في وجود المحبة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى أن يصدأ بسبب الذنب قلب المحب والحال أن ذكره - أي ذلك المحبوب - جلاءً لقلبه. أبدى أنه ظفر بسبب حجب الرؤية وهي عظيم الذنب فنادى بأن علته هذه وهي حجب الرؤية والحال أن طيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلة فرغب منه أن يعجل له بالشفاء.



باعث مدحه

- وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أَبْتُكَ شَكْوَى
هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ⁽⁴²⁹⁾
- ضُمَّنْتَهَا مَدَائِحُ مُسْتَطَابٌ
فِيكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ⁽⁴³⁰⁾
- قَلَّمَا حَاوَلْتَ مَدِيحَكَ إِلَّا
سَاعَدَتْهَا مِيمٌ وَدَالَ وَحَاءُ⁽⁴³¹⁾
- حَقَّ لِي فِيكَ أَنْ أَسَاجِلَ قَوْمًا
سَلَّمْتُ مِنْهُمْ لِدَلْوِي الدِّلَالِ⁽⁴³²⁾

(428-443) ولما أن كان طبيبه خير الخليفة صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إليه قصته قال: إن من الفوز والنجاة أن أبئك الشكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه. وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب ضمنت مدائح مستطاب ومديحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زينتها. وقلَّ أن يستصعب عليّ مدحك إذا أردته فكلما توجهت بشكواي إلا قهيت لي الأسباب. وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وآله وسلم حُقَّ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشعراء المادحين له عليه الصلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم للدلوي أي أفوز عليهم. لفرط محبة الناظم ذكر أن له محبة أي غيرة تدعوه لأن يجب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المدح النبوي. ثم أضاف علّةً أخرى علاوةً على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبة قلبه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذه المحبة لولاهما لما تميز على المادحين غيره وهي التي يلذ لها مدحك لعلمها أن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرح التام بسبب صدق محبي فيك يا رسول الله صلى الله عليك وآلك وسلم أئيب خاطري أي قريحتي الشعرية التي يلذ لها مدحك لعلمها بأنه الألاء أي الفرح التام أو المضيء المشرق. ثم شبه شعره بالبرد -أي الثياب الرفيعة- فقال: حاكت قريحتي أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسج.

ومدح قصيدته الحمزية هذه ذاكراً أن نظمها فاق الدر النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريختان الماهرة والغنية ثم قال: إقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضاد دون غيرهم من الأمم. استفهم بقوله: أوفيك مدحاً بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة لمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدح أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المادحين له، وساء ظن الأغبياء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور مني أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غبظتها أي تمتت الأنبياء أن يكونوا مثلها. وما انفردت به الأمة الإسلامية الصادقة أمّا لا تخشى الضلال لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أمّا فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالناس مع وجودهم آمنون. ويسبب أن في هذه الأمة وارثي هديك إنقضت أي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة.

والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعاً.



- إِنَّ لِي غَيْرَهُ وَقَدْ زاحمتني (433) فِي مَعَالِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ
 وَلَقَلْبِي فِيكَ العُلُوُّ وَأَنِّي (434) لِّلسَّانِي فِي مَدْحِكَ العُلُوَاءُ
 فَأَثِيبُ خَاطِرًا يَلْدُ لَهُ مَدُّ (435) حُكِّ عِلْمًا بِأَنَّهُ الأَلَاءُ
 حَاكَ مِنْ صَنَعَةِ القُرَيْضِ بُرُودًا (436) لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشَيْهًا صَنَعَاءُ
 أَعَجَزَ الدُّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ (437) هِ اليَدَانِ الصَّنَاعُ وَالخَرْقَاءُ
 فَارْضُهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّا (438) دَ فَعَامَتِ تَعَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
 أَبِذِكْرِ الآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحًا (439) أَيَّنَ مِيٍّ وَأَيَّنَ مِنْهَا الوَفَاءُ
 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ (440) سَاءَ مَا ظَنَّنُهُ بِِ الأَعْيَاءُ
 وَكَ الأُمَّةُ الَّتِي غَبَطْتَهَا (441) بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الأَنْبِيَاءُ
 لَمْ تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَ وَفِينَا (442) وَارْتُو نُورِ هَدِيكَ العُلَمَاءُ
 فَانْقَضَتْ آيِ الأَنْبِيَاءِ وَآيَا (443) تُكَ فِي النَّاسِ مَا هُنَّ انْقِضَاءُ
 وَالكَرَامَاتُ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ (444) حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الأَوْلِيَاءُ

العجز عن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم

- إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ العَجَزَ عَن وَصْدِ (444) فِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الإِحْصَاءُ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الكَلَامُ سَجَايَا (445) كَ وَهَلْ تَنْزِجُ البِحَارَ الرِّكَايَا

(444-449) من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحصى .

كيف يمكن للوصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألفاظ المادحين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر.



- لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لَوْصَفَكَ أَبْعَيْدَ — هَهَا وَلَلْقَوْلُ غَايَةٌ وَأَنْتَهَاءُ (446)
- إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا — تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الْآتَاءُ (447)
- لَمْ أَطِلْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْفِي — وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ (448)
- عَيْرَ أَيِّ ضَمَانٍ وَحَدٍ وَمَالِي — بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِوَاءُ (449)

التسليم على خير البرية

- فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتْرَى مِنَ اللَّ — هِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ الْبَأْوَاءُ (450)
- وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا عَيْ — رُكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كَفَاءُ (451)
- وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّ — هِ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأَمْلَاءُ (452)

وضح الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبغها ماحد خلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بياناً بأن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الحمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها. وإنما أطلت لا لتقصده الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمأن لإسماح تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

(450-456) ثم شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصلاة والسلام فقال: سلامٌ عظيمٌ عليك من الله يتكرر ويتبع بعضه بعضاً ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثى بسلامة صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه، وهذا السلام هو المكافئ لحضرتك أما سلامٌ من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك.

ثم قال: عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة - جمع ملاء، وهو الجماعة. وأتى بعد السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وهذه الصلاة من الله ومنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحملها من الناظم الريح الشمالية إلى الرسول الكريم، والريح النكباء وهي ريح الصبا.

ثم سلم على قبره المكرم الذي ضم أعضائه الشريفة بسلامٍ تحضل أي: تبتل به من القبر المكرم تربة وعساء أي: لينة. ثم ذكر أن نثاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصيدة بين يدي بنجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كل مأموله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنه لا لثاء له.

وختتم بقوله: أدام الله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم أبداً ما صلى الله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدنيوية والأخروية وهي لا انتهاء لها.



- وَصَلَاةٌ كَالْمَسْكِ تَحْمُلُهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ نَجْبَاءٍ (453)
- وَسَلَامٌ عَلَى ضَرْبِكَ تَخْضَعُ لِي بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعَسَاءٌ (454)
- وَأَيُّ إِذٍ لَمْ يَكُنْ لَدَيْ نَرَاءٍ (455)
- مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مِنْ عَبْدٍ لَلَّهِ وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الْأَشْيَاءُ (456)